الفصل الخامس

عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب

1- فلسطين أرض غربة بالنسبة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب إسرائيل:

طرح علىّ أحد الزملاء على أثر نشرى مقالا في موضوع " حضارة العرب في فلسطين " السؤال التالى: " ما هى صلة بنى إسرائيل بفلسطين؟... وأين كان وطنهم الأصلى هل هو فلسطين كما يدعون؟

" ولاحتمال ورود السؤال نفسه على ذهن القارئ أى قارئ، أجيب على ذلك السؤال باختصار مستندا كليا إلى نصوص التوراة بما يأتى:

أولا: إن أرض فلسطين باعتراف التوراة ذاتها كانت أرض غربة بالنسبة إلى آل إبراهيم وآل إسحاق وآل يعقوب إذ كانوا مغتربين في أرض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الأصليين، والتوراة تتحدث عنهم بصفتهم غرباء وافدين طارئين على فلسطين " [1]. أما وطنهم الأصلى فهو " أرام النهرين " أى منطقة حاران (حران الحالية) حيث كانت العشائر الأرامية التي ينتمون إليها قد استقرت عند منابع نهر البليخ بعد هجرتها من الجزيرة العربية [2]. ثم نزحت فروع من

---

(1) " وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولى على ما كان له، ضع يدك تحت فخذى، فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم. بل إلى أراضى وإلى عشيرتى تذهب وتأخذ زوجة لابنى إسحاق " (تك، 24: 3 - 4). " ثم أخذ العبد عشرة جمال من جمال مولاه ومضى وجميع خيرات مولاه في يده. فقام وذهب إلى أرام النهرين إلى مدينة ناحور " (تك، 24: 10). راجع أيضا (تك، 24: 33 - 38).
أليست هذه عادة عربية أصيلة لا علاقة لها بالتقاليد اليهودية؟ ثم ألا يستشف منه أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام كان غريبا وفردا في أرض كنعان؟ أو لم يكن بإمكانه فيما لو كان هناك يهود من عشيرته تزويج ولده من إحدى بناتهم بدلا من إرسال عبده إلى أرام النهرين لجلب عروس لابنه من هناك فلا يفرح بزواج ولده الوحيد؟.
راجع أيضا (تك 28:1 - 3)، (تك، 47: 7 - 9).

(2) يجب التمييز هنا بين بنى إسرائيل عند هجرتهم إلى مصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وهم أسرة واحدة لم يتجاوز عدد أفرادها السبعين شخصا، وبين قوم موسى عندما نزحوا إلى فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لأن أسرة إسرائيل انصهرت وذابت في المجتمع المصرى على مر الزمن بحيث لم يبق لها أى أثر عندما غزا النبى موسى وأتباعه أرض فلسطين بعد خروجهم من مصر بعد مرور حوالى ستمائة عام على زمن دخول أسرة= =يعقوب إلى مصر. لقد كان هؤلاء يؤلفون حملة

هذه القبائل إلى جنوبى العراق (منطقة بابل) فكان إبراهيم الخليل من ذريتها، وقد وردت كلمة " اغتراب " كلما ذكر تنقل إبراهيم الخليل في فلسطين وفى مصر، فقيل: " تغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين " (1)، و " انحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك " (2) وانتقل إبراهيم إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار " (3). ولما اشترى إبراهيم أرض مغارة المكفيلة من الحيثيين في حبرون قال لهم: " أنا غريب ونزيل عندكم أعطونى ملك قبر معكم ولأدفن ميتى " (4). ومثل ذلك ورد في التوراة فيما يخص إسحاق ويعقوب: " وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان (5). " وجاء يعقوب إلى إسحاق أبيه إلى حبرون، حيث تغرب إبراهيم وإسحاق " (6)، " تصرح وتقول أمام الرب إلهك: أراميا تائها كان أبى فانحدر إلى مصر وتغرب هناك "، وهكذا فلا يمكن أن تكون كلمة " تغرب " بمعنى اتجه نحو الغرب لأن ورود كلمة " أرض الغربة " تنفى هذا الاحتمال.

ثانيا: أن أبناء إسرائيل الاثنى عشر ولدوا كلهم باعتراف التوراة في فدام أرام (منطقة حران) (7)، حيث مكث أبوهم يعقوب المسمى بإسرائيل عشرين سنة (8). ويعنى ذلك أن مولدهم ونشأتهم كانا خارج فلسطين، وهؤلاء هم بنو إسرائيل الذين

مصرية بحتة أكثرها من بقايا الهكسوس ومن الجنود المصريين الفارين كما سنوضح ذلك فيما بعد.

(1) (تك، 21: 34) راجع أيضا (تك، 22: 19).

(2) (تك، 12: 10).

(3) (تك، 20: 1).

(4) (تك، 23: 4).

(5) (تك، 37: 1)، راجع أيضا " وظهر الرب لإسحاق وقال لا تنزل إلى مصر اسكن في الأرض التي أقول لك تغرب في هذا الأرض (تك، 26: 1 - 3).

(6) (تك، 35: 27) راجع أيضا ثم أخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وجميع نفوس بيته من وجه أخيه يعقوب لأن أملاكهما كانت كثيرة على السكن معا ولم تستطع أرض غربتهما أن تحملهما من أجل مواشيهما " (تك 36: 6 - 7).

(7) " وكان بنو يعقوب اثنى عشر أخا، بنو ليئة: رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذ ويساكر وزبولون، وابنا راحيل: يوسف وبنيامين، وبانا بلهة جارية راحيل: دان ونفتالى، وابنا زلفة جارية ليئة: جاد وأشير ". وهؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا في فدان أرام (تك، 35: 23 - 26).

(8) (تك، 32: 28).

ورد ذكرهم في التوراة، وقد عرضت التوراة قصة يوسف مع إخوته وما حدث له في مصر بعد أن بيع فيها وكيف دخل في خدمة فرعون وتولى إدارة شئون الدولة ثم نزوج إخوته إلى مصر مع أبيهم يعقوب (إسرائيل) ويعتقد أن نزوحهم هذا قد تم في عهد حكم الهكسوس في مصر 1785 - 1580 ق.م) [1].

وتقول التوراة: أن النبى موسى ظهر بعد ذلك في مصر على أثر الاضطهاد والتسخير الذين تعرض لهما أتباعه على عهد فرعون رعمسيس الثانى (1304 - 1237 ق.م) فخرج موسى بهم إلى أرض كنعان (فلسطين) وهذا هو الذي أطلق عليه اسم " الخروج " في التاريخ اليهودى، كما تذكر التوراة أن ابنى يوسف (منسى وأفرايم) ولدا في أسنات بنت " فوطى فارع " كاهن " عون " في مصر ونشأ فيها [2].

ففى كل ذلك دلائل وافية على أن وطن بنى إسرائيل الأصلى لم يكن فلسطين بل منطقة حران الأرامية حيث كانت تقطن العشائر الأرامية التي هم من أفخاذها، وأن جميع الإخوة الذين ورد ذكرهم في التوراة ولدوا ونشؤوا خارج فلسطين، ونحن حين نؤكد ذلك نستند إلى مرجع التوراة ذاتها التي تعترف بصراحة تامة بذلك.

2 ـ عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب هو غير عصر موسى واليهود ولا صلة بينهما:

سبق أن عرضنا في الفصل الثالث (مادة تاريخ التوراة) أن الأحداث التاريخية التي مرت على اليهود والتوراة تدعونا إلى التمييز بين ثلاثة أدوار بالاستناد إلى التسميات الثلاث (إسرائيل، وقوم موسى، ويهود) هذه التسميات التي تم تداول كل منها في دوره الخاص به. وقد أشرنا بصورة مقتضبة إلى أن دور إبراهيم وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) هو دور مستقل بذاته ليس له أية صلة بدور النبى موسى وقومه أى اليهود. والسؤال الذي يفرض نفسه والذى سنجيب عنه بالأدلة المقنعة: هل الجماعة التي خرجت من مصر بقيادة موسى تنتمى إلى إسرائيل كما ادعى مدونو التوراة؟

من الواضح أن أهم ما كان يهدف إليه كتبة التوراة عندما أخذوا بتدوينها بعد

(1) انظر ما تقدم عن الهكسوس في الفصل الأول.
(2) (تك، 50: 52).

عهد إبراهيم الخليل بأكثر من ألف وثلاثمائة عام وبعد عهد موسى بسبعمائة عام هو إرجاع نسب بقايا الجماعة التي خرجت من مصر بقيادة النبى موسى، ومدونو التوراة هم أنفسهم من بقايا هذه الجماعة، إلى إبراهيم الخليل بغية إرجاع أصلها المجهول إلى أقدس العروق من الأجناس البشرية، ثم تثبيت عقيدة الأرض الموعودة (الوهمية) على لسان إبراهيم وموسى وهما بريئان منها. واندفاعا وراء تحقيق هذا الهدف ربط مدونو التوراة صلة هذه الجماعة مباشرة بإبراهيم الخليل وبحفيده يعقوب (إسرائيل) لكى ترفع مكانتها بين البشر وتجعل منها الشعب المختار، وذلك من غير أن تتطرق إلى الفاصل الذي يفصل بين جماعة موسى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبين جماعة إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب في القرن التاسع عشر قبل الميلاد على التوالى، وهو الفاصل الذي يمتد سبعمائة عام بين عهد إبراهيم الخليل وعهد جماعة موسى.

إن جماعة يعقوب المسماة ببنى إسرائيل غادرت أرض وطنها الأصلى " حاران " (حران حاليا) وأرض غربتها (فلسطين) في حوالى القرن السابع عشر قبل الميلاد إلى مصر، وتقول التوراة: إن ذرية هذه الجماعة نفسها خرجت من مصر بعد مرور زهاء خمسة قرون وقد سمتها ببنى إسرائيل لتغزو فلسطين (أرض كنعان) متجاهلة ما حدث لهذه الجماعة في مصر خلال فاصل القرون الخمسة. أما إذا رجعنا إلى المكتشفات الآثارية نجد أن هذه الغزوة المنسوبة إلى من سمى ببنى إسرائيل إن هى إلا حملة مصرية على فلسطين وهذه ليست الغزوة المصرية الأولى لفلسطين، فقد سبقتها عدة غزوات مماثلة على عهد الفراعنة الأوائل، إذ كانت مصر تعد أرض فلسطين أشبه بمحمية مصرية لأن سلامتها مرتبطة مباشرة بها لوقوعها على حدودها الشرقية، وهى الطريق الطبيعية للغزاة الذين يقصدونها من الشرق، فقد نقلت لنا الكتابات المصرية القديمة أن الفرعون تحوطمس الثالث (1479 - 1447 ق.م) وحده قام بسبع عشرة حملة على أرض آسيا وهذه كلها عن طريق فلسطين بطبيعة الحال [1].

لذلك كانت مصر تؤازر الملوك الكنعانيين وتسندهم بكل ما لديها من قوة مادية ومعنوية ضد الغزاة من الأقوام المجاورة لهم وذلك من غير أن تتدخل في شئونهم الثقافية والدينية. وهناك دلائل قوية قلى أن ما عزاه كتبة التوراة لبنى إسرائيل في حملتهم على فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بقيادة النبى

(1) Iods, "Israel", P. 46.

موسى لم يكن إلا حملة مصرية بحتة على نمط الحملات المصرية العديدة التي سبقتها، فقائدها نبي مصري، وهي حملة مؤلفة من بعض الجنود المصريين ومن فلول بقايا الهكسوس والبعض الآخر، كما يقول الدكتور غوستاف لوبون من الأسرى والعبيد الفارين من سادتهم [1].

ومما لا شك فيه أن جميعهم كانوا يتكلمون اللغة المصرية، هذا مع فارق كون هذه الحملة منشقة على الدولة الأم (دولة الفراعنة) وهي لا تتمتع بالتنظيم العسكري المألوف كما أنها لا تتمتع بإسناد الدولة كما كانت تتمتع به حملات الفراعنة السابقة العديدة على فلسطين خلال الألف والخمسمائة عام المنصرمة، والفارق الآخر هو أن أهداف هذه الحملة لم تكن أهدافا سياسية ترمي إلى خدمة مصلحة الدولة المصرية، وإنما جاء أفرادها فارين من وجه الاضطهاد الذي كانوا يعانونه من المجتمع الوثني، وقد جاؤوا ليحتلوا أرضا عامرة بوسائل الحياة ليأووا إليها ويعيشوا عليها. ولم تكن لديهم القوة الكافية لطرد سكان البلاد والحلول محلهم لذلك بقوا زهاء نصف قرن بلا مأوى حتى تمكنوا من تثبيت أقدامهم في الجانب الشرقي من الأردن.

والدليل على اهتمام مصر بفلسطين أنها احتضنت فيما بعد ما سمي بدولة إسرائيل ومدتها بالمال والمعونة وأكثر من ذلك أن فرعون مصر زوج ابنته من الملك سليمان على قول التوراة [2]. وأرسل جيشا لمعاونته في احتلال بعض المدن التي عجز عن إخضاعها [3].

ويجب قبل شرح الدلائل التي تسوقنا إلى هذا الاستنتاج أن نذكر أن هناك حادثين مهمين وقعا في مصر خلال فترة القرون الخمسة التي تلت هجرة أسرة يعقوب إلى مصر، وهي الفاصل الذي يفصل بين جماعة يعقوب (إسرائيل) وجماعة موسى مما أدى إلى ذوبان جماعة يعقوب في البيئة المصرية كلها،

---

(1) " اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، ص 33.
انظر أيضا:
=
J. Smith, "God and Man in Early Israel", P. 36.
=

(2) (1 مل، 3: 1).
(3) (1 مل، 9: 16).

أولهما حكم الهكسوس في مصر (1785 - 1580 ق.م) [1] وقد كان يوسف أخو بنى إسرائيل في زمام حكم مصر آنذاك مع الملاحظة أن هجرة آل يعقوب إلى مصر وقعت في هذا العهد بالذات.

ويجب أن لا ننسى أن قبائل الهكسوس الحاكمة التي عاش يوسف وإخوته في كنفها، أن هذه القبائل ذاتها أخذت باللغة المصرية وبثقافتها كما هو معلوم وصار أتباعها في آخر عهدهم مندمجين بالمحيط المصرى حتى أخذوا يتسمون بأسماء مصرية كما أخذ ملوكهم يقلدون الفراعنة في سيرة حياتهم، مع أنهم لم يبقوا في مصر أكثر من قرنين من الزمن.

إن موسى نبى تعترف بنبوته الديانات الثلاث، ولكن هل هناك دلائل على أن موسى كان محتفظا بدم بنى لاوى الذين جاءوا إلى مصر قبل زهاء خمسمائة عام، أى أنه يرجع إلى طبقة الكهنة الذين كانوا يرعون الشؤون الدينية في مجتمع بنى إسرائيل على حد قول التوراة [2].

فالباحثون في هذا العصر يرون غير ذلك، فيقول الكاتب اليهودى المشهور فرويد أن موسى كان قائدا مصريا في الجيش المصرى ولم يكن من اللاونيين كما جاء في التوراة، لذلك يكون من سمى في التوراة ببنى إسرائيل من أتباع موسى النبى لا يمتون بأية صلة بمحيط الساميين العرب الذي عاشه إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب قبل مئات من السنين، كما أنهم لا يمتون بأية صلة بذرية إسماعيل وإسحاق الذين بقوا محافظين على الدم السامى العربى الخالص الذي يرجع إلى عهد إبراهيم الخليل، والدليل على ذلك أن أتباع موسى قد جاءوا وهم غرباء بل أعداء لبنى إسماعيل ولبنى عيسو، ولسكان كنعان بوجه عام ينوون غزو بلدهم وإبادتهم ليحلوا محلهم ولم تربطهم بسكان كنعان أية صلة، أفلم تقل التوراة أن النبى موسى تربى في بلاد فرعون وأن ابنة فرعون اتخذته ابنا لها وهو طفل؟ فهل تربى في البلاط بلسان يعقوب (إسرائيل) أم بلسان فرعون مصر؟ فإن سمت التوراة أتباع موسى ببنى إسرائيل أو لم تسمهم، فهم لا يرتبطون بعهد إبراهيم الخليل اطلاقا، ولا صلة لهم به قطعا، لأن لغة إبراهيم كانت غير لغتهم، وعهد إبراهيم غير عهدهم، وإله إبراهيم غير إلههم، وأن ارتباط إبراهيم بجزيرة العرب وبقبائل العرب البائدة تجعله منعزلا عنهم انعزالا تاما.

---

(1) انظر ما تقدم عن الهكسوس في الفصل الأول.
(2) (خر، 2: 1).

وصفوة القول بأن عصر إبراهيم الخليل لم يكن له أي ارتباط بقوم موسى الذين سموا التوراة ببني إسرائيل للغرض الذي شرحناه وقد ظهروا بعد سبعمائة عام من دور إبراهيم الخليل، فهو عصر قائم بذاته ولا علاقة له بمن سموا ببني إسرائيل في عهد موسى لا في الثقافة ولا في اللغة ولا في العرق، فدور إبراهيم الخليل مرتبط كما نبهنا إليه القرآن الكريم ببيت الله العتيق، أي بالجزية العربية التي هو منها وإليها يعود وهي وطن آبائه وأجداده الأصلي قبل هجرتهم إلى وادي الرافدين، فدوره يرتبط بتاريخ العرب مباشرة وهو العصر العربي القديم عصر القبائل العربية التي هو منها والتي سميت بالعرب البائدة فيما بعد لانقراضها، والدليل على أن عهد إبراهيم الخليل ويعقوب عهد مستقل لا صلة له بعهد موسى واليهود أن الآثاريين ميزوه عن الأدوار التالية، إذ أطلقوا عليه اسم " عصر الآباء الجوالين (The wandering of the patriarchs).

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن القرآن الكريم كان ول من كشف لنا عن هذه الحقيقة التاريخية وقد جاءت المكتشفات الآثارية حول الهجرات السامية العربية إلى الهلال الخصيب ودراسة علم المقارنة بين اللغات مؤيدة لهذه الحقيقة نفسها التي تربط صلة إبراهيم الخليل بجزيرة العرب وبالحجاز.

وقد يسأل سائل: كيف يفسر بقاء أسماء يعقوب وإسرائيل ويهوذا بعد عهد إبراهيم الخليل بعدة قرون، وكيف يمكن التوفيق بين نظرية زوال أسرة إسرائيل وذوبانها بالبيئة المصرية وبين بقاء هذه الأسماء في عصور لاحقة ترجع إلى ما بعد عهد موسى؟

وهنا ينبغي أن نرجع إلى العهود القديمة التي تعود إلى عهد البابليين والكنعانيين، إذ ثبت أن جميع هذه الأسماء - إبرام ويعقوب وإسماعيل وإسرائيل ويوسف وناحور وتارح وصهيون وبنيامين ودان وأشير وزبولون وغيرها من الأسماء الواردة في التوراة - كانت أسماء كنعانية بابلية متداولة في العالم العربي السامي قبل ظهور قوم موسى وقد وردت في النصوص القديمة وظلت متداولة بين الناس في شرقنا العربي السامي حتى يومنا هذا. فإن اسم يهوذا في القرن التاسع قبل الميلاد ليس معناه أنه نفس يهوذا بن يعقوب في القرن السابع عشر قبل الميلاد. فضلا عن أن " يهوذا " اسم قديم لمنطقة قديمة في كنعان وكذلك اسم إسرائيل.

ومرة أخرى نقول: ليس من السهل التخلص من التقليد الشائع منذ آلاف من

السنين وهو التقليد الذي يربط كل شئ باليهودية وبالتوراة، أما الحقيقة فهى أن هذه الأسماء كلها أسماء عربية بحتة وليست يهودية بمعنى خاصة باليهود لمجرد ورود ذكرها في التوراة، فهى أسماء عامة كانت متداولة بين الساميين العرب منذ عصور سحيقة واغلة في القدم وهى ترجع إلى ما قبل عهد اليهود أو بنى إسرائيل كما تسميهم التوراة بزمن طويل، ولا شك في أن الذين كانوا يتسمون بهذه الأسماء كثيرون لا يحصى عددهم على مدى الأدوار المختلفة كما نجدها اليوم مثل أسماء إبراهيم ويعقوب وإسماعيل المتداولة بين الآلاف من الناس، فليس معنى ذلك أن كل يعقوب وكل إسماعيل يمت بصلة للأشخاص الذين عاشوا قبل آلاف من السنين، إن جماعة موسى أجداد اليهود اقتبسوا كما أوضحنا الثقافة الكنعانية بما فيها اللغة والديانة والعادات والتقاليد وكانت من جملتها الأسماء التي تسمى بها الكنعانيون، ولا صلة لهذه الأسماء بحوادث الأدوار التاريخية القديمة.

ويرى بريستد أن أبناء يعقوب (إسرائيل) كانوا على أصح الاحتمالات عربا تابعين لإمبراطورية الهكسوس مؤيدا بذلك نظرية يوسفوس القائلة بأن بنى إسرائيل قوم من الهكسوس، وهذا يتفق مع نظرية كون دور إبراهيم وحفيده يعقوب دورا عربيا لا يمت بصلة إلى موسى واليهود. وهذا ما يقوله بريستد في هذا الصدد:

" ويستنتج من رواية مانيثو ومن أخبار سورية وفلسطين بعدئذ أن إمبراطورية الهكسوس سامية الأصل، وقد عثر على جمل لفرعون من عهد الهكسوس منقوش عليه اسم (يعقوب) إشارة إلى تبوء أحد رؤساء بنى إسرائيل الملك في تلك العصور الغامضة، وهذا الأمر يتناسب مع احتمال دخول بنى إسرئيل مصر وقتئذ. وإذا صح الاستنتاج كان عبرانيو مصر عربا تابعين لإمبراطورية الهكسوس، ولا يبعد أن يكون وجود هؤلاء العرب بمصر سببا في تلقيب تلك الإمبراطورية " دولة الرعاة " ولا يبعد أيضا أن تكون نظرية يوسفوس القائلة بأن بنى إسرائيل قوم من الهكسوس فيها شئ من الحقيقة وإن لم تكن هناك أدلة على صحة ذلك " [1].

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن القرآن الكريم فرق بين بنى إسرائيل ذرية إبراهيم الخليل من جهة وبين اليهود من جهة أخرى وذلك باستعمال اسمين يحدد بهما هذا القوم أو ذاك، فيطلق اسم بنى إسرائيل في موضع الرضا ويسمون

(1) بريستد، " تاريخ مصر "، الترجمة العربية، ص 142 - 143.

باليهود في حالات السخط عليهم.

ويقول الأستاذ فتحى رضوان: " ومن صور المنهج الرفيع في القرآن الكريم استعمال اسمين عند التحدث عن العبرانيين، فهم تارة " اليهود " وتارة أخرى " بنو إسرائيل " وتقوم عبارة (الذي هادوا) في بعض المواضع مقام لفظ (اليهود). والقرآن الكريم حينما يستعمل الاسمين لا يفعل كأنهما مترادفان، كما يقول مثلا المسيح و " عيسى ابن مريم " بل يطلق عليهم " اليهود " و " الذين هادوا " في مواضع السخط عليهم، أو التنديد بسيئ أعمالهم أو عند حكاية ما أصابهم من الذلة والعبودية لفساد طويتهم وسوء نيتهم، أما إذا جاءت مواضع في القرآن الكريم تذكر بفضل الله على هؤلاء القوم ذاتهم أو اصطفاء الله لهم، وإسناد الرسالة إلى رجال منهم، وإسباغ الحكمة والنبوة عليهم.. الخ، فاسمهم في هذه المواضع جميعها " بنو إسرائيل " واستعمال هذين الاسمين مقصود لم يأت عفوا فإسرائيل هو يعقوب ويعقوب نبى من أنبياء الله ورث عن أبيه إسحاق وعن أبيه إبراهيم رسالة الدين الحنيف، ومن هنا لا يتحدث القرآن عن أولاد يعقوب أى بنى إسرائيل إلا بالخير والرضا، فإذا صدر منهم ما يغضب فالقرآن يسميهم اليهود [1].

3 ـ النبوة الإلهية عربية لفظا ومعنى:

ويؤكد المرحوم الأستاذ العقاد: أن الإسرائيليين (اليهود) تعلموا النبوة الإلهية بلفظها ومعناها من شعوب العرب، ولم تكن لهذه الكلمة عند الإسرائيليين (اليهود) لفظة تؤديها قبل وفودهم على أرض كنعان ومجاورتهم للعرب المقيمين في أرض مدين، فيقول: " أن كلمة نبى عربية لفظا ومعنى لأن المعنى الذي تؤديه لا تجمعه كلمة واحدة في اللغات الأخرى والعبريون قد استعاروها من العرب في شمال الجزيرة بعد اتصالهم بها، لأنهم كانوا يسمون الأنبياء القدماء بالآباء، ولم يفهموا من كلمة النبوة في مبدأ الأمر إلا معنى الأنذار. فكانوا يسمون النبى بالرائى [2]، أو الناظر أو رجل الله، ولم يطلقوا عليه اسم النبى إلا بعد معرفتهم بأربعة من أنبياء العرب المذكورين في التوراة، وهم ملكى صادق وأيوب وبلعام وشعيب

(1) فتحى رضوان، " اليهود وبنو إسرائيل "، الأهرام (17 / 10 / 72)، ص 7).
(2) (عا، 7: 12).

الذي يسمونه يثرون وهو معلم موسى الكليم " [1].

وقد سمى إبراهيم الخليل برئيس الآباء [2]. ويستشهد العقاد ببعض علماء الأديان الغربيين الذين ذهبوا إلى تأييد اقتباس أتباع موسى كلمة النبوة من العرب مثل الأستاذ هولشر والأستاذ شميدت اللذين يرجحان أن الكلمة دخلت اللغة العبرية بعد وفود القوم على فلسطين. فتشير التوراة إلى أن عاموس اغتاظ وغضب لما أطلق عليه اسم نبى وقال: " لست أنا نبيا ولا أنا ابن نبى بل أنا راع وجانى جميز، فأخذنى الرب من وراء الضأن وقال الرب اذهب تنبأ لشعبى إسرائيل " [3].

4 ـ من هم العبرانيون! مسألة " العبرى " و " العبيرو " :

لقد اعتاد أكثر الذين كتبوا في تاريخ بنى إسرائيل من إفرنج أن يستعملوا " عبرى " أو " عبرانى " بغير معناها الذي جاءت به في المصادر القديمة، إذ كانت هذه الكلمة تطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد وفيما قبل ذلك على طائفة كبيرة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب وفى بادية الشام، وكانت العبرية (بمعنى لغة هؤلاء العبريين) آنذاك لغة أهل فلسطين الكنعانية ولغة كثير من القبائل في طور سيناء وفى شرقى الأردن ومنهم العمالقة والمديانيون وغيرهم من الأقوام العربية في المنطقة حتى صارت كلمة " عبرى " مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام. وبهذا المعنى وردت كلمة " الأبرى " و " الهبيرى " و " الخبيرو " و " العبيرو " في المصادر المسمارية والفرعونية ولم يكن لليهود وجود في ذلك الحين، ولما وجد اليهود وانتسبوا إلى موسى كانوا هم أنفسهم يقولون عن " العبرية " أنها لغة كنعان " شفة كنعان " أى لسان كنعان، ثم انطوت " العبرية " (الكنعانية) في الأرامية التي غلبت على القبائل جميعا بين فلسطين وسورية والعراق، وعندئذ أصبحت كلمة " عبرى " تشمل جميع الأراميين وكلهم عرب نزحوا من موطنهم الأصلى في جزيرة العرب قبل أن يكون لليهود وجود [4].

---

(1) العقاد، " الثقافة العربية "، ص 71.

(2) (عب، 7: 4).

(3) (عا، 7:14 - 15).

(4) ولفنسون، " تاريخ اليهود في بلاد العرب "، ص ز، العقاد، " إبراهيم أبو الأنبياء "، ص 132.

لذلك سوف نحجم عن استعمال كلمة " عبرى " أو " عبريين " للدلالة على اليهود في هذا البحث لتجنب الالتباس خاصة ما يتعلق ببحث تاريخ فلسطين القديم، أى بحث فترة ما قبل ظهور قوم موسى على مسرح الأحداث في الشرق الأدنى، الفترة التي يجب أن تبحث كدور مستقل ليست له أية صلة بدور موسى وذلك مراعاة للتسلسل الزمنى. ولابد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن كتبة التوراة والكتاب اليهود بعدهم صاروا يستعملون مصطلح " عبيرو " (عبرى) للدلالة على اليهود بقصد إرجاع تاريخهم وأصلهم إلى العبرانيين (عهد العبيرو القديم) الذي لا ينتمون إليه بأية صلة.

وإذا استعرضنا الدور الخطير الذي لعبه أهل البادية في تطوير حياة منطقة الشرق الأوسط بأسرها نتيجة توغلهم في جميع أنحاء الهلال الخصيب في هجراتهم المتتالية، تجلت لنا ظاهرة اهتمام الأقوام القديمة بالعبيرو " أهل الصحراء " فقد ورد ذكرهم في جميع الكتابات القديمة وذلك قبل ظهور موسى بعشرات القرون، فكان السومريون يسمونهم " سا - كاز " منذ عهد أور الثالثة (أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد) وقد ورد ذكرهم أيضا في نصوص " بابل " و " نوزى " و " مارى " و " أوغاريت " كما ورد ذكر " العبيرو " في رسائل " تل المعارنة " المصرية التي بعث بها ملوك كنعان إلى الملك أمنحوتب الثالث والملك أخناتون والتى تعود إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، وقد دلت التحريات على أن " العبيرو " تمكنوا من اختلال مدينة " أريحا " قبل عصر موسى بحوالى قرنين من الزمن [1]. ثم اختفى ذكر موسى وأتباعه في المنطقة.

(1) T. H. Garter. Ency. Brit, 1965, vol. 4,P. 727.

التصوير رقم (79)

مومياء الملك أمنحوتب الثالث الذي حكم مصر بين سنة 1413 و 1375 ق.م وهو الذي بعث إليه ملوك كنعان برسائلهم التي وجدت في تل المعارنة يطلبون فيها مساعدتهم لصد غزو القبائل البدوية " العبيرو "

ويذهب البروفسور بروجير إلى أن معنى " الأبيرو " مغبر أو مغطى بالغبار، ثم أخذ هذا الاصطلاح على مر الزمن يستعمل بالمعنى العام للدلالة على الأجنبي أو المهاجر [1].

(1) لقد كتب كثيرون في موضوع " العبيرو " (العبري) وهذا دليل على اهتمام الباحثين به، والذي نستخلصه من هذه التآليف أن أكثرية الباحثين يتفقون على أن اصطلاح " العبيرو " (العبري) كان يطلق على القبائل البدوية النازحة من الجزيرة العربية قبل عهد موسى لوروده في المدونات الآثارية التي ترجع إلى ما قبل ذلك العهد بعدة قرون، وفيما يلي مختارات من كتاباتهم في هذا الموضوع:

J.Bottero, "Le probleme des Haburus", 1954; M.Greenberg, "The Habiru", 1955; M.G.Kline, "The Habiru, Kin or Foe of Israel", Westminister Theological Jour., Vol. XIX (1956), pp. 1- 24 et 170 - 194, et Vol XX (1957), 46 - 70; R. Borger, "Das Problem der Apiru (Habiru)", ZDPVLXXIV, 1958, pp. 121 - 132; J. –R= =Kupper, "Les Nommades en Mesopothamie au temps des rois de Mari", 1957, Chap. V; I. J. Gelb, "The Early History of the West

ويعلق فرويد على مسألة " العبيرو " بقوله: " ونحن نعرف أخبار هؤلاء المحاربين من الرسائل المكتشفة عام 1887 في سجلات مدينة العمارنة المتهدمة فهي تسميهم باسم " عابيرو " وقد أطلق هذا الاسم فيما بعد لسنا ندرى كيف، على الغزاة الجدد اليهود: العبرانيين الذين ما كان في مستطاع رسائل العمارنة أن تذكره لأنهم قدموا في زمن لاحق " [1].

5 ـ العبرى أو العبرانى هو غير اليهودى في عرف التوراة:

والتوراة تتحدث عن العبرانيين بصفتهم غرباء عنهم وليسوا منهم، فقد ورد في الأحكام التي وضعها موسى أمام أتباعه ما يشير إلى أن الإسرائيليين (بمعنى اليهود) إذا اشترى عبدا عبرانيا فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حرا مجانا [2]، ثم تقول التوراة أيضا: أن العبيد يجب أن يكونوا من غير بنى إسرائيل [3]، لأن بنى إسرائيل " عبيدى الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد... وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يسلط إنسان على أخيه بعنف..و إذا بيع أخوك للغريب المستوطن عندك أو لنسل عشيرة الغريب فبعد بيعه يكون له فكاك يفكه واحد من إخوته [4].. وهذا دليل واضح على أن العبرانى هو غير اليهودى في عرف التوراة نفسها.

وكان اليهود أنفسهم بين العبرانية والإسرائيلية، فالسامريون كانوا يسمون لغتهم السامرية القديمة التي يصلون بها اللغة العبرانية تمييزا لها عن اللغة الإسرائيلية (اليهودية) زاعمين أن لغتهم هذه هى العبرانية القديمة الحقيقية التي

Semitic peoples", Journal of Cuneiform Studies, 15, 1961, pp. 28 ff; "Hebrew, Ubru et Hapiru", Syria, 3 (1958), pp. 198 - 217; M.Funger, "Israel and Arameans of Damascus", 1957, pp. 10 - 11.

(1) فرويد، " موسى والتوحيد "، الترجمة العربية، ص 47.

(2) (خر، 21: 2).

(3) سبق أن أوضحنا أن التوراة لم تتقيد بالتسلسل الزمنى فقد اعتبرت بنى إسرائيل موجودين في كل الأزمنة حتى قبل أن يخلق إسرائيل لذلك فهى تسمى أتباع موسى الذين نزحوا إلى فلسطين بعد إسرائيل بزهاء ستمائة سنة ببنى إسرائيل أيضا، فعلى القارئ أن يميز بين أتباع موسى وبين بنى إسرائيل كل حسب الدور الذي وجد فيه وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

(4) (لا، 25: 42، 47 - 48).

نزلت الشريعة بها والاختلاف ينحصر في استبدال الأحرف واللفظ. ولعل المقصود هنا بالعبرانية القديمة الحقيقية اللهجة الأصلية التي اقتبسها اليهود من الكنعانيين وهى غير اللهجة العبرية التي تكونت مع بقية اللهجات في وقت لاحق. ولدى السامريين اليوم أسفار موسى الخمسة محفوظة في وعاء من نحاس مكتوبة بالخط السامرى واللغة السامرية وهى كل ما يعترفون به من التوراة [1].

والأمر الذي ينبغى ألا يغيب عن الذهن هو أن التوراة عندما تحدثت عن لغة الموسويين لم تقل لغة العبرانيين، فقد سمتها بـ " شفة كنعان " أى لسان كنعان ثم " يهوديت " و " لسون حقوديس " أى اللسان المقدس. أما كلمة عبرى " عبريت " و " عبراى " بالأرامية فقد صاغها حاخامو فلسطين في وقت لاحق. هذا ما ذكره " درايفر " أستاذ اللغة العبرية في أكسفورد في مقاله في دائرة المعارف البريطانية حول أصل كلمة " عبرى " [2]. إذ وجد الحاخامون اليهود أن أحسن طريقة يمكن اتباعها لربط تاريخهم بأقدم العصور واعتبار عصر اليهود متصلا بأقدم الأزمنة هو استعمال مصطلح " عبرى " أو " عبيرو " للدلالة على اليهود بوجه عام. وبذلك يكون تاريخ فلسطين تاريخا واحدا متصلا ومرتبطا منذ أقدم العصور بالشعب اليهودى. وإنه لغريب جدا أن يتقبل العلماء هذه الادعاءات المزيفة التي كشفتها تنقيباتهم الآثارية.

ويلاحظ هنا أن درايفر، مع أنه يعترف بأن كلمة عبري صاغها حاخامو فلسطين في وقت لاحق واعتبروها هي وكلمة يهودي بمعنى واحد، يحاول بتلاعبه بالألفاظ واللف والدوران أن يخفي وجود الكنعانية (العبيرو) من مسرح الأحداث، وعندما يذكرها يضمها بين قوسين وكأنه يريد بلك الانتقاص من دور الأساس في تكوين الثقافة الفلسطينية في تلك الفترة السحيقة من تاريخ فلسطين، ولكن مهما أراد أن يطوي صفحة الكنعانية من أحداث هذه الفترة فلا يمكن أن تكون اللغة التي يطلق عليها اسم (اللغة الشبيهة بالعبرية) تارة واسم (اللغة السامية الغربية) تارة أخرى غير اللغة الكنعانية (اللغة الأم) لأنها كانت متداولة في كنعان قبل مجيء (اليهود إليها، وقد أخذ بها هؤلاء اليهود بعد دخولهم إلى أرض كنعان ، وقد وردت في التوراة ما يؤكد تسمية هذه اللغة التي كانت متداولة

(1) انظر ما تقدم في الفصل الثالث عن هذه الفئة من اليهود.

(2) G.R.D. Driver, "Hebrew Language", Ency. Brit, 1965 ed, vol.II, P. 279.

في كنعان قبل نزوح اليهود إليهم بـ (شفة كنعان) و (لغة كنعان) (أشعية 19 - 18) وكان خبير اللغات (دايرنجر) أول من رد على بيانات درايفر ورابين وغيرهم من الباحثين الذين جاروهما فيما بعبارة رقيقة قال: " أنه من المستحسن أن تسمى هذه الكتابات بالكتابة الكنعانية القديمة " [1].

لقد استغل الكتاب اليهود الاصطلاح (العبري) للتمويه والتشويش فاعتبروه هو واليهودي اسمين لمسمى واحد، وبذلك أرجع كل ما يمت بصلة إلى اليهود في وقت لاحق إلى عهد (العبريني القديم)، (العبيرو) الذي لم يكن لهم أي وجود فيه، والدليل على أن تسمية عبري للدلالة على اليهودي متأخرة أنها لم تستعمل في روسيا حتى القرن الخامس عشر للميلاد.

ودرايفر نفسه يعترف من غير أن يخفي حقيقة الأمر فيؤكد أن الخاخامين هم الذين صاغوا هذا الاصطلاح (عبريت) أي (عبري) للدلالة على اليهود في وقت متأخر وقد سبقت الإشارة إلى ذلك وهكذا فقد أسدل الكتاب اليهود الستار على الكنعانية (لغة فلسطين الأم) واعتبروا التراث العبري (اليهودي) الكل في الكل فسموا اللغة الكنعانية الأصلية القديمة بها المشنة بـ (عبرية التوراة) (Biblicak Hebrw) اللهجة الآرامية التي كتبت بها المشنة بـ (عبرية المشنة) (Mishndic - Hebrew) ثم عبرية القرون الوسطى (Medieval Rebrew) والعبرية الحديثة (Modern Hebrew) وقد سار كل المتدينين على هذا النمط من التفكير المعقد الغامض فقلبوا الطبخة التي طبخها الخاخامون في وقت لاحق في خلطهم بين العبرية واليهودية على علاتها دون تمحيص أو تدقيق ثم يأتي رابين معاون أستاذ اللغة العبرية في الجامعة العبرية في القدس وهذا يؤكد بدوره في مقال عن الآداب العبرية نشر في دائرة المعارف البريطانية لعام (1965ج 11 ص 284) بأن " أهل كنعان الذين وجدوا في فلسطين قبل نزوح اليهود إليها "، كانوا يتكلمون بلغة قديمة " شبه عبرية " وأن قطع المزامير التي اكتشفت في تل العمارنة دليل على أن الأدب العبري (اليهودي) كان مزدهرًا في كنعان في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أي قبل دخول اليهود إلى فلسطين، ومع أن رابين يعترف بالحقيقة (أي وجود لغة كنعانية يتكلم بها أهل كنعان قبل دخول اليهود إليها) فإنه يلجأ إلى نفس

(1) انظر ما تقدم على ص 401.

طريقة التلاعب بالألفاظ التي اتبعها زميله درايفر للتمويه وهو يحاول إبعاد الكنعانية عن مسرح الأحداث فيطلق على الكنعانية اسم (اللغة القديمة الشبيهة بالعبرية) (An Earlier From o Hebrw) مجانبًا بذلك حقيقة وجود الكنعانية وهو مثل درايفر ينسب كل اللهجات التي ظهرت في وقت لاحق إلى العبرية أي اليهودية، وقد حذت (الأنسكلوبيديا) القياسية اليهودية لسنة 1966 حذو من سبقها من الباحثين اليهود فهي تردد نفس النغمة فتقول: " لقد ثبت من رسائل تل العمارنة أن العبرية " بمعنى اليهودية " كانت لسان سكان فلسطين قبل دخول الإسرائيلين (اليهود) إليها، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا فهل من المعقول أو المنطق أن ننسب لغة سكان فلسطين الأصليين أي الكنعانيين إلى (اليهود) قبل أن يكون هؤلاء قد دخلوا في فلسطين؟ إن اليهود اقتبسوا لغة الكنعانيين بعد أن دخلوا إلى فلسطين واحتكوا بالكنعانيين، أما قبل ذلك فكل شيء كنعاني بحت لا يمت بأي صلة إلى الإسرائيليين (اليهود) على الإطلاق لا من بعيد ولا من قريب.

لقد حان الأوان لأن يعيد العلماء النظر في المفاهيم المغلوطة التي ثبتها ورسمها لنا الخاخامون والكتاب اليهود لتحقيق مآرب ومقاصد خاصة فيصححونها ويضعون النقاط على الحروف تثبيتًا للحقائق التاريخية.

وقد ظل الباحثون متمسكين بالنظرية التي تجعل العبرية التي أطلق عليها اسم عبرانية التوراة (Biblical Hebrew) أقدم لغة سامية معروفة متجاهلين وجود الكنعانية قبل العبرية بعدة قرون حتى توصل المنقبون مؤخرًا إلى اكتشاف أقدم لغة سامية معروفة في مملكة إبلا السامية العربية في جنوب حلب لضحد مفتريات الكتاب اليهود وادعاءاتهم الملفقة..

وقد صرح خبير اللغات الإيطالي كلوفاني بيتيناتو (Glovani Pettinato) وهو أحد المكتشفين لهذه اللغة القديمة (لغة ابلا) بأنها الكنعانية القديمة مؤيدًا بذلك الرأي الذي ذهب إليه خبير اللغات دايرنجر قبل هذا الاكتشاف الجديد [1] وهكذا لم يبق بعد اكتشاف اللغة الكنعانية القديمة (أم اللغات السامية) أي مجال لترويج الادعاءات الصهيونية القائلة بوجود العبرية بمعنى اليهودية منذ أقدم الأزمنة وأنها أقدم اللغات السامية، وعلى أن لغة أبلا التي تنحدر منها لغة التوراة ولكن الدكتور

(1) New Archaeolog Ical Discovery III uminates the past, by L: L: Arabbt, The plan Tauth, A Magazine of under anding Vol - XII. No 5 My 1977. P.9.

عفيف البهنسي مدير الآثار السوري فند هذه المزاعم بقوله: هذه اللغة المكتشفة (لغة أبلا) تسبق أي لغة أو لهجة ورد فيها ذكر التوراة بما يزيد ألفي عام فاللاحق هو الذي يأخذ عن السابق وبين التاريخين تاريخ لغة أبلا وتاريخ ظهور التوراة قرون عديدة [1].

6 ـ عدم ورود مصطلح " عبرى " و " عبرانى " في القرآن الكريم مطلقا

وأثبت دليل على صحة ما تقدم أن كلمة " عبرى " أو " عبرانى " لم ترد في القرآن الكريم مطلقا، فقد ورد ذكر الإسرائيليين بصيغة " بنى إسرائيل " و " قوم موسى "، و " يهود " (الذين هادوا) ذلك مما يدل على أن العرب في زمن النبى محمد صلى الله عليه وسلم لم يعرفوا اليهود بغير التسميات المذكورة، فلو كانوا يعرفونهم بالعبرانيين أو العبريين لورد ذكرهم في القرآن الكريم بهذه التسمية، وكذلك نجد أن أشهر المؤرخين العرب كانوا يسمون اليهود " بنى إسرائيل " في كتبهم وذلك تمشيا مع نهج القرآن الكريم، ومثل ذلك فعل الأشوريون قبل الإسلام بأكثر من ألف ومائتى عام، فعندما دون سنحاريب (705 - 681 ق.م) تفاصيل حملته على مملكة يهوذا سمى حزقيا ملك يهوذا (حزقيا اليهودى) ولم يستعمل كلمة عبرى أو عبرانى [2]. وهذا دليل آخر على ان كلمة " عبرى " لم يسبق أن استعملت للدلالة على اليهود في تلك العصور التاريخية.

7 ـ هل " العبرى " و " العربى " كلمة واحدة بمعنى عربى!

ويبدو لنا لأول وهلة عندما يرد ذكر " العبرى " و " العربى " أن هناك تقاربا وثيقا في اللفظ بينهما حتى أنه ليتراءى للمرء أن الكلمتين تكادان تكونان كلمة واحدة ومن أصل واحد. إلا أن السؤال الذي يرد إلى الذهن هو أى اللفظين مشتق من الآخر؟ فالأستاذ عبد الحق فاضل الذي كتب مقالا في سومر عنوانه: "

---

(1) انظر مقال " الحملة الصهيونية " لاستغلال كشف مملكة أبلا المنشور في مجلة العربي العدد 226 (أيلول 1977)، ص 52 - 56).
=

=انظر أيضًا المقال المنشور في مجلة آفاق عربية السنة الثالثة رقم (4) كانون الأول 1977، بعنوان حول الاكتشافات الحديثة لموع أبلا للدكتور أحمد سوسة.

(2) J. Pritchard, "Archaeology and the Pld Testament", P. 157.

عربى، أرامى، عبرى " [1]، ثم أحلفه بكتاب عنوانه " مغامرات لغوية " طبع في بيروت (بلا تاريخ) يرى أن العربية والأرامية والعبرية مشتقة من أصل واحد من كلمة واحدة هى العربية باعتبارها أم اللغات السامية وأكثرها شبها باللغات السامية المتطورة. والذى يهمنا هنا هو " العبرية " و " العربية "، فهو يذهب إلى أن اشتقاق العبرى من العربى كان بطريق القلب على حد تعبيره، ويضيف إلى ذلك قوله: " وما أكثر ما صنعت العرب ذلك منذ أقدم عهودها " [2]، ونحن مع ترجيحنا رأيه القائل بأن العبرى والعربى من أصل واحد ومن كلمة واحدة، إلا أننا لا نتفق وإياه بأن العبرى مشتق من العربى إذ نرجح عكس ذلك، أى أن العربى مشتق من العبرى وذلك نتيجة تقديم وتأخير في اللفظ. ودليلنا على ذلك هو التسلسل الزمنى، فأى اللفظين جاء ذكره قبل الآخر، هل هو العربى أم العبرى؟

لقد سبق أن أشرنا إلى أن أقدم ذكر لكلمة " العبيرو " و " الخبيرو " و " الهبرى " (العبرى) يرجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، حيث ورد هذا اللفظ مرات كثيرة في رسائل العمارنة وكان يقصد به عرب البادية أو البدو الرحل، ومما لا شك فيه أن استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى كان قبل ذلك بكثير، أما لفظة " عربى " فأقدم ذكر لها ورد في الكتابات الأشورية، إذ وردت أول إشارة ثابتة إلى العرب في نقش للملك الأشورى شلمنصر الثالث (859 - 824 ق.م) الذي قام بحملة على ملك دمشق عام 854ق.م، ثم وردت في كتابات أخلاف شلمنصر[3]، وقد سمى ملوك بلاد العرب بملوك " العربى " كلما أطلقت كلمة "

(1) سومر، 14، 1958، ص 180 - 188.

(2) عبد الحق فاضل، " مغامرات لغوية "، بيروت، بدون تاريخ، ص 21.

(3) لقد أشار الدكتور جواد علي في كتابه " تاريخ العرب قبل الإسلام "، (ج1، ص 169)، إلى أن أول إشارة إلى العرب وردت في نص أشوري يعود إلى أيام الملك شلمنصر الثاني ملك أشور معتمدًا في ذلك على ماركوليوث والدكتور حتي ودائرة المعارف اليهودية، إلا أن التحقيق الحديث هو أن أول إشارة ثابتة إلى العرب في النصوص الأشورية ترجع إلى زمن شلمنصر الثالث كما ذكرنا أعلاه، ويظهر أن الدكتور جواد علي قد صحح هذا الخطأ في كتابه الأخير " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " (ج1، ص 574)، حيث ذكر أن أول إشارة إلى العرب ترجع إلى زمن شلمنصر الثالث كما بينا أعلاه، ويظهر أيضًا أن الدكتور حتي هو الآخر قد صحح نفس الخطأ في

العربى " على الأراميين والأدوميين أيضا مما يدل على أن الأشوريين كانوا يعتبرون الأراميين والأدوميين من العرب كما هو واقع الحال. وقد مرت بنا الإشارة إلى مقال بعنوان " العبرى (العبيرو) والعربى "، نشر في إحدى المجلات [1]. لم يتيسر لنا الاطلاع عليه، والأرجح أنه يتناول بحث نفس الموضوع الذي نحن بصدده. ومما يذكر في هذا الصدد أن العلماء اختلفوا في كيفية نقل كلمة " عربى " من النصوص الأشورية فقرئت Arab، Arbi، Urbi، Arabi، Aribi وهذا مما يزيد الاحتمال بأن كلمة عربى تحريف للعبرى بالتقديم والتأخير. وقد وردت تسميات " العرب " و " ملوك العرب " و " بلاد العرب " و " الإعرابى " في العهد العتيق (التوراة) [2].

ويؤيد الدكتور ولفنسون " ارتباط المصطلح " عبرى " بكلمة " عربى " بقوله:

" وليلاحظ أن كلمة عبرى ترتبط بكلمة عربى ارتباطا لغويا متينا لأنهما مشتقتان من أصل واحد وتدلان على معنى واحد.. إن كلمة عبرى تؤدى المعنى الذي تؤديه كلمة عربى نفسها، أى أن العبريين هم قبائل رحل كانت تنتقل بخيامها وإبلها من مكان إلى آخر، وكان هذا الاسم يطلق على بنى إسرائيل (أبناء يعقوب) والقبائل الرحل التي كانت في جهات طور سيناء وبادية سورية وفلسطين " [3].

الطبعة الأخيرة من كتاب " تاريخ العرب " (المطول) الطبعة الرابعة 1965 (ج1، ص 45)، ونود أن نزجي شكرنا إلى الأستاذ طه باقر لتنبيهنا إلى هذا الخلاف.

(1) A. Guillaume, "The Harbiru, the Hebrews and the Arabs", Palestine Exploration Quarterly, 1946, PP 64 FF.

(2) (حز، 27: 21)؛ (أر، 3: 2، 25: 4)؛ (أش، 13: 21، 13).

(3) " تاريخ اللغات السامية "، ص 78، 164.

التصوير رقم (80)

خيالة تغلات فلاسر يطاردون بعض الأعراب الغزاة وقد سقط منهم بعض القتلى

8 -{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا} (قرآن كريم):

يتضح مما تقدم أن تسمية أبرام (إبراهيم الخليل) بالعبرانى كما وردت في التوراة [1] كان يراد بها معنى " العبريين " القبائل البدوية العربية، ومنها القبائل الأرامية التي ينتمى إليها إبراهيم الخليل نفسه، وبهذا المعنى جاءت كلمة " عبيرو " التي عثر عليها في النصوص المصرية والتى تعود إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، ويعترف جورج بوست في مصنفه " قاموس الكتاب المقدس " بأن لقب إبرام بالعبرانى لم يقصد به الإسرائيلى وإنما يمكن تأويله على حد تعبيره بأبرام السائح أو المهاجر [2].

(1) (تك، 14: 13).

(2) يلاحظ أن هذه العبارة قد حذفت من الطبعة الجديدة لقاموس الكتاب المقدس لعام 1971، بل وأكثر من ذلك حذفت جميع الدراسات العلمية التي قام بها العلامة جورج بوست ليوضع مكانها، خلافا لما جاء في المقدمة، ما يؤكد ربط اليهود بعصر إبراهيم الخليل واعتبار كلمة عبرانيين أو عبريين شاملة لكل أدوار اليهود التاريخية التي تبدأ بإبراهيم الخليل وفقا للتقاليد اليهودية التي تعتبره جد اليهود. ويلاحظ أيضا أن هذا القاموس الجديد يدعم النظرية الصهيونية الحديثة التي تعتبر جميع الأسماء الواردة في التوراة من أسماء أشخاص وأماكن عبرية أى يهودية الذي سار عليه في وقت متأخر للتمويه

فقد عثر في تل العمارنة بمصر على ست رسائل من أحد ملوك منطقة أورشليم الكنعانية اسمه " عبد - خيبا " موجهة إلى ملك مصر أمنوفيس الرابع " أخناتون " (1375 - 1358 ق.م) يطلب فيها إرسال نجدة لصد غارات " العبيرو " الذين اجتاحوا بلاده. ولما كانت أرض فلسطين في هذا الدور محمية مصرية فإن " عبد - خيبا " يقول في رسائله: " لم يبق في ارض مولاى الملك شئ.. نهب (العبيرو) كل البلاد من سيدى الملك.. البلد وقعت في أيدى (العبيرو).. ".

ومن الواضح هنا أنه لا يمكن أن يكون " العبيرو " الذين ورد ذكرهم في هذه الرسائل هم اليهود [1]. وهكذا فإن التوراة حين تصف إبراهيم الخليل بالعبرانى تسايو واقع الحال باعتباره من قبائل الخبيرو (العبيرو) التي ينتمى إليها، أى القبائل الأرامية، قبل أن يكون لليهود وجود بعد [2].

ويؤيد ذلك المستشرق ثورير ثوردارسون، أستاذ اللاهوت في جامعة أيسلندا، فيرى " أن إبراهام كان شبه بدوى ينتمى إلى القبائل القديمة المسماة بالعبيرو ولعله ينحدر من هذا العرق القبائلى نفسه " [3].

فقد عاش إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أى في زمن يسبق عهد موسى بسبع مئة عام، وقد ظلت هذه التسمية أى تسمية عبرى وعبرانى، تطلق على الجماعات من القبائل النازحة من البادية ومن جهة فلسطين إلى مصر، وعلى هذا الأساس صار المصريون يسمون الإسرائيليين بالعبرانيين باعتبارهم من تلك الجماعات البدوية [4].

وأما ما أورده الباحثون من أن كلمة " عبرى " مشتقة من عبر أى قطع نهرا أو غيره أو من " عابر " أحد أسلاف إبراهيم [5]. فغير مستند إلى أى دليل أو

(انظر الحاشية " 59 "). أن العبرية القديمة هى في الحقيقة لغة عهد (العبيرو) أى الكنعانية لأن العبرية بمعنى اليهودية متأخرة ولم تكن قد وجدت في ذلك العهد القديم.

(1) G. A. Barton, "Archaeology and the Bible", Phil,PP. 403 - 406.

(2) انظر ما تقدم عن الأخلامو والخبيرو في بحث الأراميين في الفصل الأول.

(3) " دائرة المعارف البريطانية "، 1925، م1، ص 45.

(4) (تك، 39: 14، 17، 40: 15، 41: 12)؛ (خر، 1: 15، 16، 15، 2: 6، 7، 11، 13).

(5) (تك، 10: 24، 11: 14).

أساس وهي من قبيل الحدس والاجتهاد. وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الناحية حيث قال تعالى: { يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧} [آل عمران: ٦٥ - ٦٧]، ولهذه الآية الشريفة معنيان: المعنى الأول هو أن إبراهيم ما كان على دين (يهوه - إله اليهود - بل كان حنيفا مسلما) كما تقدم، والمعنى الثاني هو أن دور إبراهيم الخليل هو غير دور اليهود ولا يتصل بدور اليهود الأخير.

يتضح من التنبيه الذي ورد في القرآن الكريم أن هناك من وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الكتاب العرب اليوم بربطهم عهد إبراهيم الخليل باليهود وأن هذا التنبيه إلى أن إبراهيم الخليل ظهر قبل وجود اليهود وأنه لا يمكن أن يكون يهوديا ثم الإشارة إلى اتصاله بالجزيرة العربية (بيت الله العتيق) يتفق تماما مع ما توصل إليه العلماء في ضوء الاكتشافات الأخيرة وعلى الباحثين أن يتبعوا ما نبه إليه القرآن الكريم في هذا الموضوع، لأن استعمال كلمة عبرى بمعنى يهودى عندما يبحث عن تلك الأزمان القديمة لأن يتفق مع المسند العلمى التاريخى، فضلا عما يحدثه من ارتباك، إذ يربط اليهود بأدوار تاريخية قديمة لم يكن لهم أى وجود فيها، لذلك فإذا أردنا أن نتعرف على حياة إبراهيم الخليل علينا أن نرجع إلى وطنه الأصلى وطن آبائه وأجداده في جزيرة العرب ثم إلى المناطق الأرامية في منطقة الفرات الأوسط حيث استقر أجداده عرب البادية النازحون من الجزيرة فنزل بعضهم إلى العراق ومن جملتهم أسرة إبراهيم الخليل، هذا مع ملاحظة العصر والزمن اللذين وجد فيهما إبراهيم الخليل، ثم العصر الذي ظهر فيه الموسويون على أساس أن كلا منهما يمثل عصرا مستقلا بذاته.

9 ـ إبراهيم الخليل ـ مولده وسيرته:

هو: إبرام بن تارخ بن ناخور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح عليه السلام. هذا هو نسبه كما ورد في التوراة [1]. وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى:{وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً } [الأنعام: ٧٤] وقد فسره بعض المفسرين " إن تارح " هو (الاسم العلم) لأبى إبراهيم و " آزر " اسمه (الوصفى) كما يقول البيضاوى أما الأستاذ النجار فإنه يعلق على

(1) (تك، 11: 10 - 26).

ذلك بقوله: " إذا صح أنه كان لوالد إبراهيم اسم (علم) واسم (وصفى) فيكون معناه القوى أو الناصر أو المعين لأن لفظ آزر من الأزر، أى القوة والنصر والعون ومنه الوزير أى المعين [1]. وهى كذلك في اللغات السامية التي منها لغة إبراهيم، ومن ذلك عازر وعزيز في العبرية " [2].

إن أحدث التحقيقات الآثارية التي توصل إليها العلماء تشير إلى أن إبراهيم الخليل عليه السلام ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد أى قبل حوالى أربعة آلاف عام، وهذا يتفق مع ما ذكره بعض المؤرخين العرب في تعيين تاريخ عهد إبراهيم الخليل عليه السلام، فقد حدد المسعودى الفترة الممتدة بين عهد إبراهيم الخليل وبين عهد خروج موسى من مصر بخمس مئة وسبع وستين سنة [3]، ولما كان العلماء قد توصلوا إلى تعيين زمن الخروج بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد فيكون هذا التحديد مطابقا تماما لما وصل إليه العلماء بتعيين زمن إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

ويتفق المؤرخون على أن مولد إبراهيم الخليل كان في العراق[4]، إلا أن الروايات قد اختلفت في تعيين مكان ولادته من العراق بالضبط، فبعضهم ذكر أن مولده كان في أور الكلدانيين والبعض الآخر عينه في بلدة (أوروك) (الورقاء)،

(1) " تاج العروس "، ج3، ص 11.

(2) النجار، " قصص الأنبياء " الطبعة الثالثة، ص 70.

(3) " التنبيه والإشراف "، طبعة مصر، 1938، ص 171.

(4) لقد أبدى بعض الباحثين الشك في كون مولد إبراهيم الخليل في العراق، ويميل هؤلاء إلى الرأي بأن هناك مدينة أخرى باسم أور غير أور العراقية تقع بالقرب من حران، حيث أسست جملة مدن قديمة كانت بالدرجة الأولى مراكز تجارية وعرفت باسم أور، إلا أن هذه النظرية لا تستند إلى دليل، فالعراق مملوء بمقامات ومزارات وآثار كلها تحمل اسم إبراهيم الخليل فضلاً عن إجماع المؤرخين العرب على كون ولادته في العراق، والعثور على ألواح بابلية تحمل اسم أبرام دليل جديد على أن هذا الاسم كان من الأسماء الشائعة عند البابليين، والأرجح أن أسماء هذه المدن بجوار حران منقولة من أور العراقية تبركا باسم= =المدينة التي جاء منها إبراهيم الخليل، ومن هذه المدن " أورفة " التي تشتمل على عدة مواضع مقرونة باسم إبراهيم الخليل مما يشير إلى احتمال زيارته لأورفة عند ذهابه إلى حران وهي قريبة منها، وتقع في نفس المنطقة، ويجب أن لا ننسى أن التوراة أوردت ذكر مدينة أور وهي مقرونة بالكلدانيين وكتبة التوراة كانوا في منطقة أور ذاتها عندما دونوا فصولها وكانوا مطلعين على مدونات البابليين وآرائهم الموروثة عن العصور القديمة.

وفى نقول أخرى أن مدينة " كوثا " كانت مسقط رأسه وفيها طرح في النار، وأطلال مدينة كوثا مازالت قائمة حتى يومنا هذا وتسمى " تل إبراهيم " وإلى جانب التل مزار يعرف بمقام إبراهيم. هذا ويقول ابن بطوطة أن مولده كان في البرس (برس نمرود) وقد ورد ذكر محاولة النمرود لحرق إبراهيم هناك. وفى البرس تل مرتفع يقوم عليه مزار حديث يعزى إلى كونه مقام إبراهيم الخليل أو قبره إلا أن أكثرية المراجع الإسلامية تؤكد ولادته في كوثا.

وقد جاء ذكر إبراهيم الخليل عليه السلام مقرونا بعهد الملك نمرود، ومما ورد في ذلك أن الملك نمرود دفعته أحلامه المزعجة إلى مراقبة الحوامل وقتل الذكور من مواليدهن، وزار عماله أم إبراهيم عوشاء للكشف عليها قبل أن يأتيها المخاض، وجسوا جانبها الأيمن فاختفى الجنين في الجانب الأيسر، وجسوا الأيسر فاختفى الجنين في الجانب الأيمن، فانصرفوا دون أن يظفروا بطائل، الأمر الذي اضطر عوشاء أن تلجأ إلى كهف بالقرب من كوثا، وهناك رأى إبراهيم الخليل نور الحياة للمرة الأولى [1] وفى ذلك دليل على كون عشيرة إبراهيم الخليل كانت تسكن في منطقة كوثا التي كانت تعتبر مركزا هاما للساميين في العراق منذ أقدم العصور بعد أن هاجروا من الجزيرة العربية وأخذوا يؤسسون مستوطناتهم على ضفاف الفرات في سورية وفى العراق.

وإبراهيم الخليل بحسب رواية التوراة ينتمى إلى القبائل الأرامية [2]، وهى قبائل عربية نزحت من وطنها الأصلى في جزيرة العرب واستقرت على ضفاف الفرات في شمال سورية، ثم نزلت بعض أسرها إلى العراق ومن جملتهم أسرة إبراهيم الخليل، وإذا أخذنا بما توصل إليه العلماء حول تعيين تاريخ هجرة الأراميين فتكون أسرة إبراهيم الخليل قد جاءت إلى منطقة بابل في حوالى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد. وهكذا يمكن القول أن إبراهيم الخليل كان عراقيا بالولادة عربيا في قوميته التي ترجع إلى وطنه الأصلى الجزيرة العربية.

ويقول البروفسور " ديشز " (Daiches) " إن أسرة إبراهيم الخليل كانت قد جاءت إلى بلاد بابل من أرض كنعان التي كانت وطنها الأصلى " [3]. وهذا لا

(1) الكسائى، الثعلبى، الطبرى، الزمخشرى، البيضاوى، ابن الأثير، ياقوت، البكرى، المقدسى، وابن صحون.

(2) (تك، 24: 4، 38: 40)؛ (تث، 26: 5).

(3) S. Daiches, "The Jews in Babylonia", 1910. P. 7.

يغير كون وطن إبراهيم الأصلي هو جزيرة العرب، لأن الكنعانيين ومعهم العموريون والأراميون كلهم نزحوا من الجزيرة العربية في الأصل.

ولما نادى إبراهيم الخليل بعقيدة التوحيد بين قومه الوثنيين لاقى كثيرا من أنواع التعذيب والاضطهاد وقد خرج منها سالما [1]. ثم دحر نمرود بينما سار إبراهيم وأتباعه إلى " حاران " (حران حاليا) ومنها إلى أرض كنعان (فلسطين). وقد اجتاحت البلاد موجة من القحط والغلاء فانحدر إبراهيم هذه المرة إلى مصر [2].

وكان لوط ابن أخيه معه، فأقام في مصر مدة من الزمن صارت له فيها ثروة كبيرة، وقد أصاب لوط من غنى عمه شيئا غير يسير، ثم غادر إبراهيم مصر وكل ما كان له عائدا إلى كنعان وأقام في حبرون، وهى اليوم الخليل [3].

ثم وقع نزاع بين رعاة إبراهيم ولوط أدى إلى انفصالهما فاختار لوط أن يرتحل إلى سهل الأردن حيث كانت " سدوم وعموره " [4]، وحدث بعد هذا أن بعض ملوك البلدان الواقعة على الفرات أغاروا على مدن سهل الأردن فأخذوا سدوم وأسروا لوطا مع أهل بيته واستولوا على أملاكه. فلما بلغ الخبر إبراهيم سلح غلمانه وعبيده وكبسهم ليلا فكرسهم واسترجع لوطا وأملاكه ونساءه وجميع الأسرى وكل ما كان لهم، فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه وباركه ملكى صادق ملك شاليم (أورشليم) قائلا: " مبارك أبرام من الله العلى مالك السماوات والأرض، ومبارك الله العلى الذي أسلم أعداءك في يدك " فأعطاه إبراهيم عشرا من كل ما استولى عليه وأبى أن يأخذ لنفسه شيئا من الغنيمة [5].

وقد رزق إبراهيم ابنا من الجارية المصرية هاجر أسماه إسماعيل [6]، ثم ولدت

---

(1) {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ٦٨ - ٧١].

(2) (تك، 12: 10).

(3) (تك، 13: 1، 18).

(4) (تك، 13: 6 - 13).

(5) (ك، ص 14).

(6) (تك، 16: 15).

له زوجته سارة ابنا في شيخوخته وسماه إسحاق [1]، وتذكر التوراة أنه رزق في أخريات أيامه أولادا أيضا من زوجته الأخيرة " قطورة " [2]، ومات وعمره مئة وتسعون سنة ودفنه إسحاق وإسماعيل في حبرون في نفس المقبرة التي دفنت فيها امرأته سارة [3].

وقد ورد في كتب تواريخ الصابئة أن إبراهيم الخليل تربى في كوثا ولما خالف جماعته احتج عليه الناس إلى أن سجن وكان يستمر في مناقشة الناس أياما وهو في السجن فلما خاف الملك أن يفسد عليه سياسته ويرد الناس عن أديانهم نفاه إلى أطراف الشام [4].

ونخلص مما تقدم إلى أن إبراهيم الخليل قد نادى بعقيدة التوحيد قبل حوالى أربعة آلاف عام، أى قبل ظهور موسى بحوالى سبع مئة عام، ومما لا شك فيه أن دعوته هذه إلى الإله الأوحد، إله السماوات والأرض، المخالفة للعقائد الوثنية المحلية والمقاومة التي جابهها بسبب ذلك هى التي ألجأته بوحى من الرب إلى الهجرة من العراق شأنه في ذلك شأن الأنبياء المصلحين [5].

10 ـ شخصية إبراهيم الخليل وصلته بالجزيرة العربية:

كان إبراهيم الخليل زعيما ذا مقام سام اجتماعيا ودينيا وسياسيا بين جميع بلاد الشرق وقد اشتهر باستقامة سيرته وسمو مبادئه، والأرجح أنه كان من أكبر زعماء قبائل العرب المسماة بالبائدة، وكانت كلها في قيد الحياة في زمنه قبل أن تنقرض الواحدة بعد الأخرى، وعلى هذا فقد كان نطاق اتصالاته يشمل كل الهلال الخصيب تقريبا ومن ضمنه الجزيرة العربية ودلتا النيل الشرقية، حتى ليقال أنه كان أميرا من أمراء البابليين قبل مغادرته العراق، وعندما حل بدمشق وهى في أول نشأتها قيل أنه نصب ملكا عليها.

ويرى الأستاذ هيوز: " أن أغلب الظن بأن ذلك قد سجل في تاريخ مدينة دمشق بين سكانها الأولين لأن أليعازر الدمشقى الموكل على بيته كان من هناك ". ويرجح أن إبراهيم الخليل بصفته من الزعماء الروحانيين قد تبادل الرأى وبحث مع كبار

(1) (تك، 21: 2 - 3).
(2) (تك، 25: 1).
(3) (تك، 25: 7 - 10).
(4) الدكتور إسرائيل ولفنسون، " موسى بن ميمون "، ص 112.
(5) (تك، ص 12).

رجال الدين المصريين معتقده الديني [1]. ويقول الأستاذ كنيون: أن الحيثيين الذين كان إبراهيم الخليل يسكن في جوارهم في فلسطين كانوا ينظرون إليه كأمير عظيم بينهم [2].

وقد روى يوسيفوس [3] نقلا عن نيقولاوس الدمشقي (القرن الأول قبل الميلاد) أن إبراهيم الخليل بلغ دمشق أولا وولى أمرها، وهذا كلام الدمشقي الذي رواه يوسيفوس: " خرج إبراهيم الخليل بجحفل كبير من بلاد الكلدان.. فملك في دمشق ثم زايلها بعد مدة وأقام في أرض كنعان.. وما برح اسم إبراهيم إلى الآن موقرا ومشتهرا في بلاد دمشق وهناك قرية تسمى باسمه ويقال أنها كانت مسكنه ". وعد يوستينوس ملوك دمشق فقال: " ومن بعد دمسقوس ملك حزال ثم أدوراس ثم إبراهيم وإسرائيل ".

ورأى كثير من العلماء أن هذه التقليدات لا تخالف الصواب ولا أقل من أن تكون دليلا على إقامة إبراهيم مدة في دمشق بمنزلة أمير ثرى وأليعازر قيم بيته كان من دمشق [4]، وقد جاء ذكر هذا التقليد في كتب علماء مسيحيين ومسلمين " [5].

ومما يدل على أن إبراهيم الخليل كان ينتمي إلى أسرة من الأمراء في بابل ما رواه ياقوت الحموى من أن جد إبراهيم الخليل أبا أمه قام بحفر نهر كوثى وهو أول نهر أخرج بالعراق من الفرات. فذكر ياقوت نقلا عن أبى المنذر أن " نهر كوثى سمى بكوثى من بنى أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وهو الذي كراه فنسب إليه وهو جد إبراهيم عليه السلام أبو أمه بونا بنت كرنيا بن كوثى وهو أول نهر أخرج بالعراق من الفرات ".

ومما لاشك فيه أن نبوءة إبراهيم الخليل قد انتشرت في الآفاق حتى خلد اسمه في جميع البقاع التي مر بها كما نشاهدها اليوم في المزارات والمقامات العديدة التي تحمل اسمه وهى منتشرة في البلاد العربية عامة. ومع أن إبراهيم الخليل كان قد استقر في العراق إلا أنه كان على اتصال دائم مع أبناء عشيرته والقبائل

(1) G.S. Hughes, "Ancient Civilizations", 1896, P. 352.

(2) F. Kenyon, "The Bible and Archaeology", 1940, P. 81.

(3) " تاريخ اليهود "، (ك 1، فصل 7).

(4) (تك، 15: 2).

(5) المطران يوسف الدبس، تاريخ سورية، ج1، م2، بيروت 1895، ص 10.

العربية التي كانت تربطه بها صلة القرابة والوطن الواحد. وكان شأنه في ذلك شأن العرب الذين كانوا يستقرون في المدن والقرى ويأخذون بحياة الحضر ولكن في الوقت نفسه لم ينفروا عاداتهم القديمة من البداوة وما إليها لأن طابع العرب الميل إلى البداوة وحكم القبيلة والاعتزاز ببداوتهم وتمسكهم بتقاليدها. وهكذا فقد كان إبراهيم الخليل مرتبطا كليا بالجزيرة العربية وكانت له جمال وأغنام كما كانت له اتصالات تجارية وسياسية وزراعية مع القبائل التي كانت تسكن البادية المتصلة بالفرات والأردن والحجاز، وكان خبيرا بطرق البادية ومواقع آبارها، ولما كانت اللهجات العربية لم تكن قد تباعدت عن بعضها البعض في زمنه فقد كان إبراهيم الخليل يفهم لسان أهل البلاد التي توجه إليها، إذ كانت كلها تتكلم بلغة واحدة، فقد نزح من أور الكلدان واجتاز سورية وفلسطين ومن المحتمل أن يكون قد مر بالحجاز لزيارة مكة المكرمة وذلك قبل رحليه إلى مصر، وهذه كلها بلاد عربية خالصة، وقد كانت له اتصالات برؤساء قبائلها، وإذا أخذنا بما ورد في التوراة عن ارتباط إبراهيم الخليل بعشيرته في منطقة حران (أرام النهرية وفدان أرام) (أرام) [1] فيكون في توجيهه إلى حران قد حل بين أهله وعشيرته، لأن منطقة حران كانت في زمن إبراهيم الخليل مستوطنة أرامية نزح أهلها من شمال الجزيرة واستقروا في السهل الممتد بين البليخ والفرات، كما أوضحنا ذلك فيما تقدم [2].

ومن المحتمل أن يكون إبراهيم الخليل قد زار منطقة أورفة الواقعة جوار حران على بعد عشرين ميلا شمالا، والتقليد القديم عند بعض الطوائف في أورفة بأن إبراهيم الخليل سكن فيها وتستشهد بالمغارة عند سفح الجبل إلى الجنوب الشرقي من المدينة حيث ولد إبراهيم على ما يزعمون، وهناك بركة تدعى بركة إبراهيم الخليل، ولعل تسمية أور المدينة باسم أورفة مشتقة من مدينة أور التي نزح إبراهيم الخليل فسميت باسم مدينته أور تبركا بها.

وفي سيرة إبراهيم الخليل وصلته بالبلاد العربية يقول الأستاذ مونتوغومري:

---

(1) ورد في كتاب " قصص الأنبياء " للنجار ما يشير إلى أن " فدان آرام " التي ورد ذكرها في التوراة تقع في العراق ولعله يقصد بالعراق وادى الرافدين الذي يشمل كل المنطقة الواقعة على وادى الفرات بما في ذلك منطقة حران الكائنة على منابع البليخ وهو أحد روافد الفرات الأوسط.

(2) انظر ما تقدم عن هجرة الأراميين في الفصل الأول.

" إن ما اتسم به إبراهيم الخليل من الخلق الرفيع وعزة النفس هو من صفات الآباء والاعتداد بالنفس التي يتصف بها الشيخ العربى، وملاحظة هذه الظاهرة تكشف لنا عن الصفة البارزة من صفات الساميين، فقد حافظ الساميون على مقوماتهم الأصلية حتى هذا اليوم على الرغم من التأثيرات الأجنبية الدخيلة التي زاحمت تلك المقومات القديمة.

فبعد سقوط الإمبراطوريات الساميات اجتاحت البلاد دولة فارس ثم اليونان فروما فبيزنطة فبلاد فارس من جديد، وأخيرا حكم الصليبيين المتقلب، وكل هؤلاء من العنصر الهندو - أوربى، ومع اجتياح العديد من هذه العناصر الغريبة في العرق والدين للبلاد بقى العنصر السامى على أصله محافظا على اللسان العربى تعززه ديانة عربية خالصة متغلبة ومتصدرة " [1].

11 ـ الطريق التي سلكها إبراهيم الخليل في هجرته إلى كنعان:

يتفق الخبراء على أن إبراهيم الخليل عليه السلام سلك طريق الفرات اليمن في رحلته من أور إلى حران، وهى نفس الطريق التي كانت تسلكها القوافل، وكانت مع إبراهيم الخليل جماعته وممتلكاته من قطعان الأغنام والمعزى والحمير والجمال، فيكون قد قطع في هذه الرحلة 560 ميلا (900 كيلو متر) بين أور وحران، فمارى أولا بمدينة " مارى " السامية وهى عاصمة العموريين الذين ظهرت منهم السلالة البابلية الأولى والملك حمورابى الشهير، وقد كانت هذه المدينة آنذاك تتمتع بأوج ازدهارها، ثم ذهب منها إلى حاران (حران الحالية)، وبعد أن غادر حران متوجها إلى دمشق بطريق تدمر ومنها إلى فلسطين قاطعا مسافة حوالى 600 ميل (960 كيلو متر) أخرى بين حران وكنعان.

أما الطريق الذي سلكه في سفرته إلى مصر فهو اختراق صحراء شبه جزيرة سيناء حيث القبائل المديانية والقينية [2].

---

(1) مونتغومرى، " الجزيرة العربية والتوراة "، ص 24.

(2) كان المديانيون، وهم من القبائل العربية القديمة، يقطنون في شبه جزيرة سيناء حيث تلقى موسى، بحسب مآثر التوراة، العهد المقدس، وتذكر التوراة أن موسى تزوج في مدين من ابنة كاهن هذه المنطقة الذي كان على ما يرجح موحدا يعبد الله باسم " يهوه " لذلك يرجح أن أصل اسم " يهوه " إله من آلهة البدو العرب الشماليين. وكان المديانيون من أقدم الذين استعملوا الجمال في غزواتهم الصحراوية.

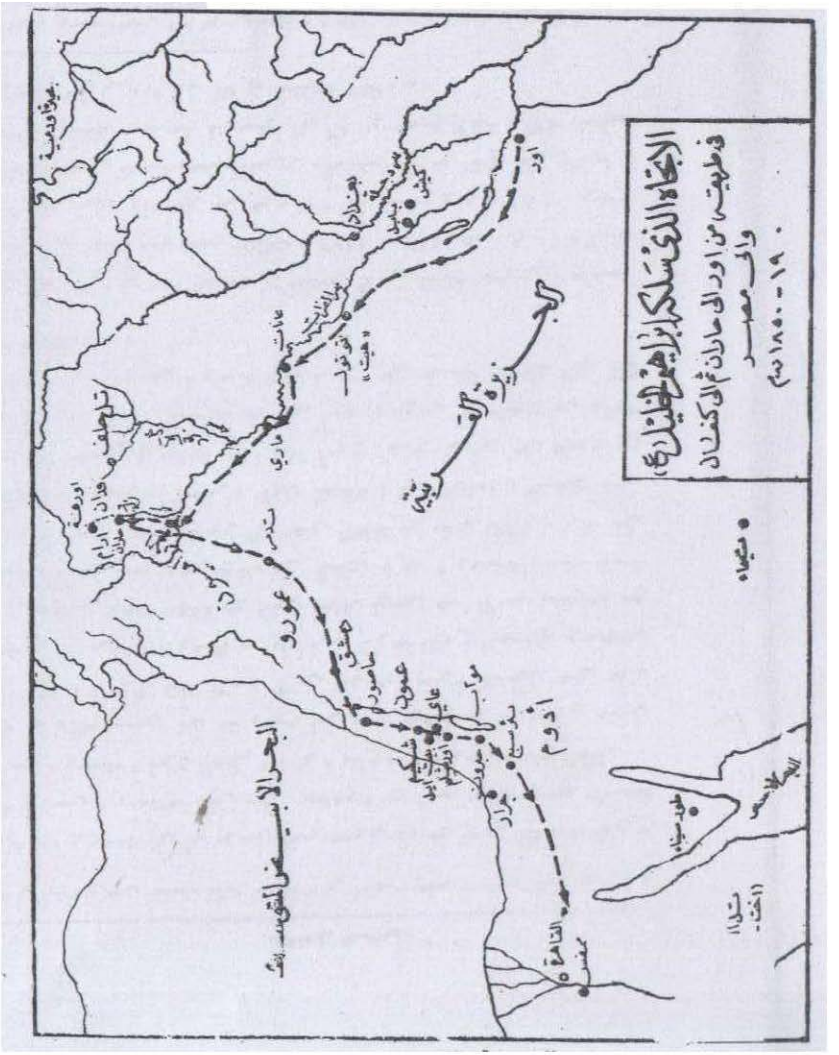

المرتسم رقم (16)

وقد ذهب الأستاذ " لورد " " إلى أن الطريق التي سلكها إبراهيم الخليل كانت

أما القينيون فهم من القبائل التي سكنت أرض مديان بين فلسطين وسيناء وشرقي خليج العقبة وكان يثرون حمو موسى قينيا، وكان القينيون أصحابا للكنعانيين والعمالقة(العرب).

بمحاذاة الجانب الأيسر من نهر الفرات [1]، وهذه الفرصة غير مقبولة لكثرة العوارض في هذا الجانب فضلا عن أن جميع المدونات القديمة تشير إلى أن الطريق العام، طريق القوافل، كانت يسير بمحازاة الجانب الأيمن من الفرات مارا بمدينتى هيت وعانة ثم ببلدة " مارى " عاصمة العموريين الشهيرة وبعد أن يمر بمدينة اليوكمال والميادين ودير الزور يعبر الفرات عند الرقة ثم يصعد شمالا مع نهر البليخ حتى يصل إلى حران (انظر المرتسم رقم 16 الذي يمثل الخارطة التي وضعناها مع هذا البحث).

وبذلك يكون إبراهيم الخليل عليه السلام قد قطع مسافات طويلة عبر البوادى متنقلا بين القبائل العربية من منطقة إلى أخرى في متاهات شاسعة من الجزيرة العربية محتكا بمدنها وقراها وسكانها، ورؤساء عشائرها، ففى سيرته هذه تتجلى لنا أبين التجلى الرسالة الروحية والإنسانية التي كان يحملها معه أينما حل.

وفى سيرته هذه تبرز الرابطة القوية التي تربط العالم العربى بعضه ببعض بوشائج الثقافة واللغة والتراث الصحراوى الباعث على النبوغ والتسامى في سماء الروحانيات التي انبثقت منها النبوة السامية التي تصل الخالق بالمخلوق، فكان والحالة هذه رسولا حاملا علم العروبة بين وادى الرافدين ووادى النيل، رسول المحبة والتوحيد والسلام، يوصل بين أعظم حضارتين في العالم القديم، كان كل ذلك قبل أن يعرف العالم أو يسجل التاريخ وجود الموسويين بسبعمائة عام.

12 ـ صلة إبراهيم الخليل بالقبائل العربية البائدة وبجزيرة العرب:

ومن الواضح أن إبراهيم الخليل لم يدخل فلسطين غازيا ولا محاربا ولا فاتحا ولا محتلا وإنما جاء متنقلا بين العراق مسقط رأسه وبين المستوطنات العربية السامية على ضفاف وادى الفرات مثل " مارى " و " حران " وفى المناطق الغربية مثل " تدمر " و " دمشق " و " كنعان " شأنه في ذلك شأن القبائل العربية التي كانت تنتقل في البادية من مكان إلى آخر فتعتبر كل الجزيرة وكل الوادى (وادى الفرات بوجه خاص) وطنها، وهكذا فقد استقبل إبراهيم الخليل بكل ترحاب هو وأتباعه وما معه من جمال وقطعان من المواشى وما إلى ذلك مما ملكه من مال أينما حل لما كان يتمتع به من سمعة وشهرة في جميع البلاد العربية. ففى حران كان بين عشيرته

(1) Rev. F.T. Lord, "The Story of the Bible", Vol.I, P. 32.

وأقربائه وهم جماعة الأراميين الذين كانوا قد استوطنوا في منطقة حران قبل فترة وجيزة، وفى بلاد كنعان استقبله الكنعانيون بالتجلة والتعظيم وقد سبق لهم أن استقروا في أرض كنعان منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد، وهم كالأراميين ساميون في أرض كنعان منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد، وهم كالأراميين ساميون عرب من أهل الجزيرة العربية وكانوا كلهم يتكلمون لغة واحدة، هى لغة الجزيرة الأم قبل أن تتفرع إلى لهجات عديدة، ومع أننا نعلم أن العناصر غير السامية لم تكن قد تسللت إلى هذه المناطق بعد، فإن التوراة تشير إلى ان بعض الحيثيين قد حلوا كأفراد في كنعان في زمن إبراهيم الخليل إلى جانب الكنعانيين إذ جاء في التوراة أن إبراهيم الخليل اشترى من عفرون ابن صوحر الحثى " مغارة المكفيلة التي له في طرف حقله ليتخذها مقبرة له ولسارة امرأته " (1).

وقد ورد في التوراة أيضا ذكر عدد من القبائل كانت موجودة في زمن إبراهيم الخليل يرجح أنها من فروع القبائل الكنعانية أو العمورية وهذه القبائل هى قبائل القينيين والقدمويين والفرزيين والرفائيين والجرشانيين واليبوسيين " (2).

ومما يذكر أن القبائل العربية المنقرضة (البائدة) التي أشار إليها الإخباريون العرب والتى ورد ذكر أهمها في القرآن الكريم مثل عاد وثمود ومعين وسبأ والعمالقة، كانت موجودة في زمن إبراهيم الخليل على ما جاء في كتابات المؤرخين العرب، ومن المرجح جدا أن إبراهيم الخليل كان على اتصال وثيق برؤساء هذه الإمارات العربية المنتشرة في أنحاء الجزيرة العربية والتى كان لها دور هام في تنشيط الحركة التجارية في الشرق الأوسط بسيطرتها على طرق القوافل بين العراق وسورية ومصر والحجاز وبقية المواضع المهمة في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، وقد عد العرب القبائل البائدة هذه من نسل إرم بن سام، أى أن هذه القبائل والقبائل الأرامية التي ينتمى إليها إبراهيم كانت ترجع إلى أصل واحد (3). والمشهور من أقوال من تعرض للكلام عن القبائل البائدة وخاصة قبيلة عاد وقوم هود أنهم بادوا بعد إبراهيم الخليل، وبناء البيت بمكة المكرمة.

وهكذا فقد كان إبراهيم الخليل مرتبطا ارتباطا كليا بجزيرة العرب وبعشائرها وبقبائلها المعروفة بالبائدة ومن ضمنها الحجاز ولم تنقطع صلاته بها مع سكناه

(1) (تك، ص 23).
(2) (تك، 15: 19 - 21).
(3) انظر ما تقدم في الفصل الأول عن الأراميين والقبائل البائدة.

في العراق كما أسلفنا. وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك حيث جاء اسما إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام مقرونين بالجزيرة العربية وبيت الله العتيق (مكة المكرمة):{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾} [البقرة: ١٢٥ - ١٢٨].

13 ـ هجرة إبراهيم الخليل حقيقة واقعية وليست خيالا:

ولقد ظهر من المدونات التاريخية القديمة التي اكتشفها الأثاريون أن هجرة إبراهيم هى حقيقة واقعية لا مجال للشك فيها، فقد ورد في هذه المدونات ما يشير إلى وقوع نزاعات دينية أساسية في العراق في حوالى نفس الفترة التي هاجر فيها إبراهيم الخليل حول منزلة إله الساميين (الإله القمرسين) الذي جاء به الساميون العرب من موطنهم الأصلى فابنثقت من هذه النزاعات والحوارات العقيدة الوحدانية التي بشر بها إبراهيم الخليل وأصبح هو المؤسس لها وحامل لوائها. وتشير النصوص القديمة التي عثر عليها أن سلالة من السلالات السامية البابلية حكم فيها أمراء كانوا يتقبلون عقيدة التوحيد وقد أخذوا بها إلا أن الوثنيين انتزعوا منهم الزعامة وأخرجوهم من البلاد.

وهذا نص ما أورده المستر فيلبى في هذا الصدد: " أن الساميين الجنوبيين (ويقصد أهل جنوب الجزيرة العربية) نقلوا معهم (إلى بابل) الإله القمر الذي كانوا يعبدونه، وقد احتل هذا الإله مكانة رفيعة بين مجموعة الآلهة ولم ينافسه إلا الإله القمر الذي كان يعبده الآريون الشماليون. وقد انبثقت من هذا النزاع الحساس بذرة فكرة الخالق الأوحد العظيم الذي يسير جميع هذا الكون، وهى تعدأعظم ما اقتبسته الإنسانية في تاريخ العالم. وتنسب الأقوال المتواترة هذه المرحلة من التفكير الإنسانى إلى الأب إبراهام الذي كان حامل لواء النظرية الجديدة. ويظهر أن هذه الفكرة الجديدة قد حازت إقبالا وتقبلا من الوثنيين. ففى بعض الألواح التي عثر عليها المنقبون في منطقة بابل ما يوضح جليا أن هناك ثلاثة ملوك يؤلفون سلالة بابلية سامية قد حكموا ما يقرب من قرن كامل في المنطقة الجنوبية من بابل، وهؤلاء نادوا وجاهروا بعقيدة التوحيد إلا أن الوثنيين

أسقطوا الملك الثالث ونفوه من البلاد، ولو محصنا بدقة ما ورد في المدونات البابلية وفى كتابات التوراة لوجدنا أدلة كافية على أن هذا الملك هو إلا إبراهام الذي غادر بابل وتوجه إلى فلسطين، وذلك بعد سقوط السلالة السامية الموحدة المذكورة [1].

ثم يضيف المستر فيلبى أن أسماء هؤلاء الملوك الثلاثة وهى أسماء عربية سامية مقترنة بصلة الإله الأوحد، فاسم الأول " أيلوما - أيلوم (Ilima Ilum) ومعناه " الإله هو الإله الواحد "، أما الملك الثانى فاسمه " إيتى - إيلى - نيبى " (Itti - ili - nibi) ومعناه (الله هو حسبى)، وهذا الاسم مشابه تماما لأسماء ملوك جنوب الجزيرة العربية، وأهم ما في الأسماء الثلاثة هو اسم الملك الثالث " يائع - إيل " (Yathi - Il) ومعناه كما ترجمة العلامة Doughty " إلهه الواحد صديق له "، وهو كما ورد اسم النبى إبراهيم الخليل في الكتابات الإسلامية، أى إبراهيم الخليل [2]، ويختم المستر فيلبى حديثه عن صلة إبراهيم الخليل بعقيدة التوحيد قائلا: " ومما لا شك فيه أن إبراهيم لعب دورا رئيسيا في تاريخ العالم السامى بتأسيسه ديانة التوحيد وقد انتصر أخيرا في كفاحه ضد وثنية الجزيرة العربية القديمة..ولا نرانا بحاجة للتأكيد أن إبراهيم كان شخصية ذات مكانة مرموقة ويشير السير وولى إلى أنه النبى الوحيد من الأنبياء الذي سمى بـ (خليل الله) [3].

وخلاصة القول أن ما تقدم يدل دلالة واضحة على أن إبراهيم الخليل كان شخصية عظيمة، وزعيما سياسيا وروحيا، لعب أكبر دور في تاريخ الإنسانية، وهو عربى قح متصل بالقبائل العربية في جزيرة العرب وليس تله أية صلة بعهد موسى واليهود الذي يقع بعد عهده بحوالى سبعمائة عام كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وقد عثر فيما عثر عليه من كتابات عمورية بين أطلال مدينة (مارى)

---

(1) H. ST. J.B. Philiby, "The Background of Islam", 1947, pp. 10 -11.

(2) " إيل " هو نفس إله إبراهيم الخليل خالق السماوات والأرض الذي ورد ذكره في التوراة وفى الكتابات القديمة ومعناه " الإله الواحد " وجمعه " إيلوهيم " كما سبق وأشرنا على ذلك (انظر ما تقدم في مادة " إله إبراهيم الخليل هو غير إله قوم موسى ..".

(3) "The Background of Islm", PP. 22 - 23.

السامية على دلائل تؤيد صحة ما ورد في التوراة وفى القرآن الكريم حول شخصية إبراهيم الخليل باعتبارها حقيقة واقعية وليست أسطورة خيالية كما كان يرى بعض الباحثين.

وقد تمكن الخبراء الآثاريون من تعيين زمن هجرة إبراهيم الخليل بحوالى سنة 1900 ق.م، ويرجح البعض الآخر أن الهجرة وقعت في حوالى 1850 ق.م، وقد انتهى الباحثة الفرنسى الأستاذ (دى فو) في أحدث دراسة قام بها في هذا الموضوع (1965) إلى تحديد عصر إبراهيم الخليل بالقرن التاسع عشر قبل الميلاد [1]، وهذا يقع في أوائل عصر المملكة البابلية القديمة (1894 - 1595 ق. م).

وقد دلت التنقيبات التي أجريت في منطقة بابل أن تسمية إبراهام أو أبرام وردت في عديد من الألواح البابلية من زمن سلالة بابل الأولى بصيغة (إبراما) و (إبام راما) وموضوع هذه الألواح يدور حول عقود ومقاولات تتعلق بمعاملات زراعية وتجارية. وقد وجدت هذه الألواح في مكان يقع بين بابل وبورسيبا وهى في حوزة جامعة يال الأمريكية، كما ورد اسم أبرام في وثائق مصرية تعود إلى عهد شيشنق الأول (947 - 925 ق.م) حيث ورد فيها ذكر مزرعة باسم " مزرعة إبرام " في

(1) W.Keller, "The Bible as History", p. 69; R. De Vaux, "Les Patriarches Hebreux et L'Histoire", revue Biblique, 72 (1965), pp. 5 - 28.

انظر المراجع التالية:

L.H Woolley, "Abraham, Recent Discoveries and Hebrew Origins" 1963; A. Parrot, "Abraham et son temps", 1962; Revue==des Etudes Semitiques, "La legende des Patriarches et les decouvertes modernes", Revue Biblique. 53 (1946), pp. 321 - 347; 55 (1948). Pp, 321 - 347; 56 (1949). Pp. 7 - 36; T.K. Thordarson, "Abraham", Enc Brit., 1965 ed, Vol. I, p 44ff; H.S. N.K. Thordarson, "Abraham", in I. Engely and A. Fridrichen, Svenskt Bibliskt Uppslagsverk, Vol. I, Col 8 - 11, 1948.

جنوبى فلسطين لعلها تقع في جوار حبرون [1]، كما ورد اسم أبراموا أو إبرام في كتابات أشورية تعود إلى عهد أسرحدون (681 - 669 ق.م).

وقد عثر أيضا على كتابة في " لارسا " في جنوب العراق تعود إلى عهد حمورابى (1792 - 1750ق.م) ظهر فيها اسم شخص يدعى " أهوبا بن إسماعيل " بصفته أحد الشهود [2]. وقد عثر في مارى على مدينة اسمها " ناحور " وهو نفس اسم أخى إبراهيم الخليل كما عثر على أسماء مدن كثيرة تحمل أسماء أفراد عائلة إبراهيم مثل " توراحكى " يشبه اسم والده " تارح " ومدينة " سروج " وهى اسم جده [3]. كما عثر في مارى على اسم قبيلة عمورية باسم بنيامين (أحد أسباط اليهود) مما يدل على أن هذه القبيلة كانت معروفة بهذا الاسم قبل ظهور النبى موسى واليهود بزمن طويل [4].

14 ـ أحوال العراق السياسية أثناء هجرة إبراهيم الخليل منه:

وإذا رجعنا إلى الأحوال السياسية والاجتماعية التي كانت تسود العراق أثناء هجرة إبراهيم الخليل منه، نجد أن زمن هجرته الذي حدد بحوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد يقع في فترة حرجة كانت تجتازها البلاد وهى في حالة اضطراب وتوتر، وهى الفترة التي أطلق عليها الآثاريون اسم فترة أيسن ولارسا " فكان نتيجة تنازع أيسن ولارسا أن تنازعت الدولتان على الحكم في مدن أيسن ولارسا وبابل، فألف الأولى جماعة من العموريين الساميين هجموا على العراق في موجة سامية جديدة جاءت من سورية، أما الثانية فألفها العيلاميون بعد غزوهم لجنوب العراق، وقد عرفت هاتان الدويلتان بسلالتى أيس ولارسا (2006 - 1800 ق.م) والتى كانت تتنازع فيها ثلاث دويلات، حوالى قرنين من الزمن على حكم العراق، وفى خلال هذه الفترات ظهرت سلالة أخرى هى سلالة بابل الأولى وأصلها من العموريين الساميين أيضا فانتصرت على سائر الأمراء

(1) G.A. Barton, "Archaeology and the Bible", pp. 316 - 319; A. T. Olmstead, "History of Pa;estine and Syria", p. 83.

(2) G. Smith, "The Chaldean Account of Genesis", 1876, pp. 296 - 298.

(3) العربى، العدد 143، تشرين الأول، 1970، ص 88.

(4) Parrot, "Archaeology and Old Testament Study", P, 141.

وضمت مدنهم إلى مملكة موحدة حكمت الشرق الأوسط بأسره وعرفت بالمملكة البابلية القديمة وهى من تأسيس الأقوام السامية العربية، وكانت بداية هذه السلالة في أوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ودامت حوالى 300 عام (1894 - 1595 ق.م) برز منها الملك الشهير حمورابى (1792 - 1750 ق.م) [1].

ومن الحوادث المهمة التي حدثت في هذا الدور حدوث فيضان خطير جدا في نهرى دجلة والفرات أحدث تخريبات واسعة، ويرجح أن مجرى الفرات الذي كان يسير باتجاه كوثا وسيبار تحول غربا إلى مجرى جديد يمر ببابل، كما أن مجرى دجلة تحول من مجراه الأصلى باتجاه العمارة إلى جهة الغراف في نفس الوقت نتيجة لهذا الفيضان مما أدى إلى حرمان بعض المدن من مصدر حياتها (الماء) وإغمار مدن أخرى وتدميرها [2]، ومما لاشك فيه أن هذا الحادث الذي يعتقد أنه حدث في القرن التاسع عشر قبل الميلاد قد أحدث اضطرابات شاملة في البلاد[3].

15 ـ أحوال مصر السياسية أثناء هجرة إبراهيم الخليل إليها:

أما أحوال مصر السياسية في الفترة التي هاجر فيها إبراهيم الخليل إلى وادى النيل فكانت تتميز بالاستقرار والازدهار والرخاء في ظل المملكة الموحدة القوية تحت حكم السلالة الثانية عشرة في عهد الفرعون (سنوسرت الثانى) (1897 - 1877 ق.م)

و(سنوسرت الثالث) (1872 - 1843 ق.م)، فقد تمكنت مصر في هذا الدور من بسط نفوذها السياسى على سورية ولاسيما في البلاد الساحلية، كما فرضت سيطرتها على بلاد كنعان في أعقاب حملة قام بها " سنوسرت الثالث " في حوالى سنة 1850 ق.م، وقد توطدت علاقات تجارية قوية بين مصر والأقطار المجاورة، فكانت مصر تجلب التوابل والبهار وما إلى ذلك من المواد العطرية والصمغية التي كانوا يستعملونها في معابدهم وفى التحنيط من جنوب جزيرة العرب، كما كانت تجلب الذهب والتوابل من السودان والنحاس الأحمر وحجر الزبرجد والفيروز من مناجم طور سيناء والفضة من طوروس وأخشاب الأرز

(1) انظر ما تقدم من الإمبراطورية البابلية القديمة في الفصل الأول.

(2) انظر الدكتور أحمد سوسة، " وادى الفرات "، الجزء الثانى.

(3) J.G Macqueen, "Babylon", London, 1964, p. 38.

من لبنان، وكانت بلاد كنعان إذ ذاك حلقة وصل بين مصر وكل هذه الأقطار وقد احتلت مركزا مهما من النواحى الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، وذلك باعتبارها ممرا دوليا على الطريق التجارى الرئيسى للعالم القديم. لذلك فإن ذهاب إبراهيم الخليل إلى مصر كان أمرا طبيعيا نظرا للروابط المتينة والصلات الوثيقة التي كانت تربط الكنعانيين بمصر فقد كانت مصر تشكل الموئل الطبيعى الذي يتجه إليه الكنعانيون في حالات المحل والقحط للاكتيال منها.

16 ـ أين اليهود من عصر إبراهيم الخليل!

لقد سبقت الإشارة إلى أن أكثر الكتاب المتأثرين بالتوراة درجوا على ربط تاريخ اليهود بإبرهيم الخليل وقد أخذ عنهم الكتاب العرب هذه الادعاءات المخالفة للواقع التاريخى دون تمحيص. ومن الأقوال التي شاع ترديدها وتناقلها الكتاب والمؤرخون من الإفرنج والعرب أن جماعة من اليهود هاجروا مع إبراهيم الخليل من العراق إلى فلسطين، بل راحوا إلى أبعد من ذلك فاعتبروا إبراهيم الخليل عبريا بمعنى يهوديا نتيجة الخلط بين كلمة العبرى القديمة واليهود ذلك الخلط الذي أوضحناه فيما تقدم[1].

ومن أغرب ما قيل في ذلك هو تعيين عدد اليهود الذين رافقوا إبراهيم الخليل في رحلته من العراق، وقد اعتبروا على هذا الأساس أن اليهود يعودون إلى المكان الذي نشأ فيه إبرهيم الخليل وهو أرض العراق. ومن هؤلاء الأستاذ أحمد زكى البدوى الذي يقول ما نصه بالحرف الواحد: " رحل إبراهيم متزعما الإسرائيليين (اليهود) إلى فلسطين " [2].

وقد نقلت نشرة أصدرتها وزارة الثقافة والإعلام العراقية عن فلسطين من أرشيفها في طبعتها الثانية [3] ما يشير إلى أن " إبراهيم وأهله هاجروا من مدينة أور في العراق سنة 1806 ق. م وكان عدد اليهود الذي رافقوه في هذه الهجرة قليلا.. وقد انتهت هذه الهجرة عام 1656 " وقد ذكر الأستاذ إميل الغورى عضو الهيئة العربية العليا نفس الكلام [4]. والواقع أن الكتاب العرب قد استندوا في نقل مثل هذه الادعاءات إلى المصادر الأجنبية، وهى مصادر يهودية في معظمها دون

(1) انظر ماتقدم عن مسألة العبرى والعبيرو في نفس هذا الفصل.
(2) " تاريخ التطور الدينى "، ص 33.
(3) النشرة رقم (1)، الطبعة الثانية، ص 6.
(4) إميل الغورى، " فلسطين "، وزارة الإرشاد القومى العراقية، رقم 44، 1963.

أن ينتبهوا إلى التسلسل الزمنى للحوادث التاريخية.

وقد سبقت الإشارة إلى أن مدونى التوراة تعمدوا إهمال التسلسل الزمنى وذلك لإفساح المجال أمامهم لإرجاع تاريخ اليهود إلى أزمنة سابقة لوجودهم ومنها عصر إبراهيم الخليل [1].

ففى كتاب سولوف " كيف نما الشعب اليهودى " [2]مثلا نجد ما يفيد أن

---

(1) انظر ما تقدم في الفصل الرابع عن عصر إبراهيم الخليل.

(2) Mordecoi I. Solaff. "How the Jewish people grew up?.."

هذا ما يقوله سولوف وقد جاراه فيه كثير من العلماء والأساتذة مع الأسف ولكن هلا يكون بإمكان أولئك الأفاضل أعلامنا عما سيكون عليه مصير التوراة التي بين أيدينا في حال ثبوت هذا الزعم؟!..

فالتوراة تؤكد دعوة الرب إبراهيم بمفرده بدلالة ما يلي:

(أ) " وقال الرب لإبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك " (تك، 12 : 1) " فذهب إبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط، وكان إبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حارات، فأخذ إبرام ساراي امرأته ولوطًا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيتا والنفوس التي امتلكا في حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان ، فأتوا أرض كنعان " (تك، 24: 4 - 5).

فأين هم اليهود الذين قادهم إبراهيم في هجرته إلى أرض كنعان؟!..

(ب) تؤكد التوراة كون إبراهيم عليه السلام فردًا بين الكنعانيين:

" وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام، وبارك الرب إبراهيم في كل شيء، وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كل ما كان له، ضع يدك تحت فخذي، فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لاتأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم، بل إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحاق "، (تك، 24: 1 - 4) " ثم أخذ العبد عشرة من جمال مولاه ومضى وجميع خيرات مولاه في يده، فقام وذهب إلى أرام النهرين إلى مدينة ناحور " (تك، 24 : 10 وكذا راجع كامل الإصحاح 24). ط =

=فلو كان هناك يهود قادهم إبراهيم إلى أرض كنعان وإن لم يكن بإمكانه أن يزوج ابنه الوحيد من إحدى بناتهم وتقر عينه بدلاً من إرسال عبده إلى آرام النهرين إلى عشيرته فلا تقر عينه بزواج ولده الوحيد.

وكذلك فعل إسحاق عندما أوصى ولده يعقوب بأن يذهب إلى حاران ليأخذ له زوجة من هناك (تك، 28: 1 - 2) ولقد ولد أولاد يعقوب جميعهم وهم كل ذرية إبراهيم الخليل في فدان أرام (تك، 35: 23 - 26)، وكان يعقوب (إسرائيل) يصف نفسه وأباه إبراهيم بالآرامي التائه (تك، 26: 5).

الشعب اليهودى نزح إلى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد بقيادة إبراهيم الخليل ولم يكن عددهم آنذاك يتجاوز أربعة آلاف شخص [1]، وهذا هراء في هراء ليست له أى نصيب من الصحة ولا أى سند من واقع التاريخ، ولكن لم يزل عدد غير قليل من الكتاب العرب من يأخذ بهذا التزييف. وكتاب سولوف المذكور يدرس الآن في أمريكا في المدارس اليهودية وغير اليهودية باعتباره يمثل تاريخ اليهود، ولم يتصد أحد من المؤرخين والباحثين لتفنيد هذه الادعاءات الوهمية، ولنا أن نسأل أين دعاية العرب من هذه الادعاءات المزيفة؟ هل رد أحد عليها؟ هل أدخل العرب في مدارسهم منهجا لتوضيح حقيقة تاريخ فلسطين القديم ودور اليهود فيه؟

ومن حقنا ومن حق كل باحث أن يسأل: كيف يمكن أن يكون إبراهيم الخليل يهوديا وقد عاش قبل أن يعرف التاريخ جماعة يسمون أنفسهم يهودا بحوالى ألف وثلاثمائة عام؟ ثم أين كان الشعب اليهودى في سنة 4000 ق.م لاسيما وأن تسمية يهود لم تظهر إلى عالم الوجود إلا بعد 2300 عام من هذا التاريخ، كما أن إبراهيم الخليل نفسه لم يظهر إلا بعد أكثر من ألفى عام من التاريخ نفسه.

ولنا أن نسأل أيضا: كيف جاء اليهود إلى العراق وكيف اتصلوا بإبراهيم الخليل في حين أنه لم يكن لهم أى وجود بعد؟ وكيف يتزعم إبراهيم الخليل اليهود في رحيله إلى فلسطين قبل أن يكون قد خلق يهوذا الذي جاءت تسمية يهود منه أو يكون قد خلق يعقوب (إسرائيل)؟

نعم، إن العراق حوى اليهود، ولكن حواهم كأسرى في زمن نبوخذ نصر، وكان ذلك بعد إبراهيم الخليل بأكثر من ألف وثلاثمائة عام، ولم يكن لهم أى

فكيف يكون إبراهيم وإسحاق ويعقوب أراميين ويهودا، في آن واحد.

(ج) لو كان هناك يهودا فهم لا براح عشيرة إبراهيم ولكن إبراهيم خلف عشيرته في آرام النهرين كما جاء أعلاه وإذا كان هناك يعود غير عشيرة إبراهيم فكيف يعودون إليه بحسب مآثر التوراة.

(د) لو كان إبراهيم قد قاد اليهود وعددهم 4000 رجل فكيف يكون آراميًا تائهًا بحسب وصف حفيده يعقوب له و 4000 رجل في تلك الأيام البعيدة كانت تشكل جيشًا كاملاً؟...

فهلا نحصل على جواب على تساؤلنا من سولوف ومن أولئك الذين ينحون منحاه؟!..

(1) شريف يوسف، " تاريخ اليهود كما يلقنه الصهاينة لأبنائهم "، العربى، - العدد 108، تشرين الثانى 1967، ص 105.

وجود في العراق لا من بعيد ولا من قريب في عهد إبراهيم الخليل لأنهم لم يكونوا قد ظهروا للوجود بعد.

ويميل بعض الباحثين إلى الاعتقاد أن اليهود تعمدوا نشر قصص التوراة والتلمود بين العرب لأسباب سياسية ودينية وأنها في حقيقة الأمر دسيسة لفقها اليهود لعرب تزلفا إليهم واحتيالا على كسب عطفهم وتوثيق عرى المودة والألفة بينهم. فيقول أحد العلماء: " إن هذه الطريقة هى من سنن اليهود المألوفة إذ لوحظ عليهم كثيرا أنهم متى رأوا المصلحة في التودد إلى قوم قالوا لهم أنتم إخواننا ونحن وأنت صنوان. وظلوا منذ ذلك العهد إلى ظهور الإسلام وهم يبذلون جهدهم في إشراب العرب عقيدة كونهم وإياهم ذرية أب واحد حتى نجعت فيهم هذه الأكذوبة التي كان العرب أجهل من أن يتبينوا ما فيها من كذب وتلفيق " (1).

17 ـ هجرة إبراهيم الخليل من العراق وهجرة جماعة موسى من مصر:

لقد اعتاد أكثر الكتاب والمؤرخين ومنهم الباحثون العرب، أن يعتبروا هجرة إبراهيم الخليل من العراق وهجرة جماعة موسى من مصر وكأنهما هجرتين لقوم واحد أو لجماعة واحدة، فقالوا هجرة العبرانيين بمعنى اليهود الأول، أى هجرة إبراهيم الخليل، وهجرتهم الثانية أى خروج جماعة موسى من مصر، وشتان ما بينهما إذ لا توجد أية علاقة بين الهجرتين، فهجرة إبراهيم الخليل من مسقط رأسه العراق وقعت في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أى قبل ظهور جماعة موسى بسبعة قرون، وكانت لهجرته هذه أسبابها وأهدافها السامية، فقد اضطر إبراهيم بسبب دعوته إلى عقيدة التوحيد وتبشيره بها بين مواطنيه الوثنيين إلى مغادرة العراق تحت ضغط السكان ورجال الدين في ظروف مشابهة لظروف النبى محمد عليه الصلاة والسلام عند هجرته من مكة المكرمة، أما الهجرة الثانية، هجرة جماعة موسى من مصر إلى فلسطين والمعروفة بالخروج، فقد حدثت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتنسب التوراة إلى موسى زورا أن الإله " يهوه " إله اليهود أمره بأن يحتل فلسطين الأرض الموعودة بعد إبادة سكانها، شيوخًا ونساء وأطفالا، ليحل اليهود محلهم فيها.

18 ـ بداية تاريخ اليهود وصلتها بهجرة إبراهيم الخليل:

وكما أن الكتاب صاروا يخلطون بين هجرة إبراهيم الخليل من العراق

(1) ولفنسون، " تاريخ اليهود في بلاد العرب "، ص 75.

وهجرة جماعة موسى من مصر كذلك صاروا يربطون بداية تاريخ اليهود بهجرة إبراهيم الخليل من أرض العراق. وهذا لا يتفق والحقائق التاريخية، لأن تسمية يهود ظهرت بعد وجود مملكة يهوذا التي اشتق منها اسم يهود. لذلك فإن بداية تاريخهم لا يمكن أن تحدد بغير زمن الخروج حين ظهر أتباع موسى على مسرح الأحداث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وفضلا عن ذلك فإننا لو استعرضنا تسلسل الأحداث الواقعية لتوصلنا إلى أن إبراهيم الخليل لم يرتبط بأية صلة باليهود لا من حيث العصر ولا من حيث المبدأ والعقيدة ولا من حيث اللغة أو القومية. فقد عاش إبراهيم الخليل في بيئة واسعة النطاق تشمل جميع بلاد الشرق الأدنى التي كانت تتسم بالقومية السامية العربية لارتباطه بعالمه الواسع الذي كان يضم الجزيرة العربية وطن آبائه الأصلي ومعها العراق وسورية وفلسطين ومصر. لذلك يجب على الباحثين والمؤرخين تمسكا بأمانة البحث وأسلوب المنطق ومراعاة للتسلسل التاريخي ألا يخلطوا بين دور إبراهيم الخليل ودور اليهود، الدورين الذين تفصل بينهما سبعة قرون من الزمن.

ويلاحظ أنه ما يزال هناك بعض أساتذة التاريخ عندنا يأخذون بالنظرية القائلة بأن تاريخ اليهود يبدأ بسفر إبراهيم الخليل من أرض العراق، فقد أفاد الأستاذ الدكتور محمد رشيد الفيل صاحب الدراسات الجغرافية والتاريخية القيمة أن " تاريخ اليهود يبدأ بسفر إبراهيم من أرض الكلدانيين غربا إلى أرض كنعان "[1]، وهذا مأخوذ طبعا من الكتابات الكثيرة التي أخذت بهذا المفهوم الخاطئ الشائع عن قصد أو غير قصد.

ومن هذه الكتابات ما قرأناه للكاتب السياسي الألماني المعروف، الدكتور غروبا، أنه يطلق على إبراهيم الخليل فيما كتبه عنه أنه ملك اليهود[2]. ومن الواضح هنا أن الدكتور غروبا متأثر بالتوارة كبقية المسيحيين يربط عصر إبراهيم الخليل بزمن اليهود من غير ملاحظة للتسلسل الزمني.

وقد قلد الكتاب العرب الكتاب الأجانب في ربط وجود اليهود واليهودية بعهد إبراهيم الخليل حتى في عناوين مؤلفاتهم، فقد اتخذ الدكتور رياض بارودي مثلا عنوان " اليهودية العالمية منذ زمن إبراهيم إلى وقتنا الحاضر " لكتابه، فمن حق

(1) " اليهود وعلم الأجناس "، ص 82.
(2) " العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب "، ترجمة الأستاذ نجدة فتحي صفوت، 1969، ص 124.

الباحث أن يسأل المؤلف: أين كانت اليهودية في زمن إبراهيم الخليل، وهل كانت هناك يهودية في عهده؟ (1).

19 ـ العقاد في كتابه " أبو الأنبياء ":

وأحسن الكتاب العرب الذين كتبوا في هذا الموضوع هو في نظرنا، المرحوم عباس محمود العقاد، الكاتب العربى المعروف في كتابه " أبو الأنبياء " فعلى رغم اتسام كتابه هذا بطابع أدبى فقد تناول حقائق تاريخية ذات أهمية بالغة، ومما قاله في هذا الصدد: " أن الدعوات النبوية التي بدأتها سلالة إبراهيم دعوة لم يظهر لها نظير في غير الأمم العربية، والأمم السامية، وقد ختمت بدعوة محمد وجاءت دعوة محمد متتمة لها، فلا تفهم واحدة منها منفصلة عن سائرها، بترتيب كل منها في زمانها، وعلاقة كل منها بمكانها، فلا لبس فيها من جانب العصر ولا من جانب البيئة، ومن قرائن الثبوت أن هذه الدعوات النبوية نسبت إلى أصل واحد هو السلالة السامية العربية، قبل أن يعرف الناس علم المقارنة بين اللغات.. وقد كان إبراهيم زعيم قبيلة بادية مضطلعا في شؤون الجزيرة وأحوال العرب وزعمائهم وعاداتهم فلا يمكن أن يقال عنه أنه إسرائيلى لأن كلمة إسرائيل أول ما استعملت أطلقت على يعقوب حفيد إبراهيم، ولا يمكن أن يقال عنه أنه يهودى لأن اليهودية نسبت إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب (2)، ولا يقال عنه أنه عبرى إذا كان

---

(1) أن تسمية يهود نسبت إلى مملكة ومنطقة يهوذا (931 - 586 ق.م) ولم تستعمل على ما وصل إليه علمنا إلا في عهد مملكة يهوذا، لذلك فهى تسمية متأخرة ولا صلة لها بيهوذا ويعقوب الذين عاشا في القرن السابع عشر قبل الميلاد، ولعل يهوذا كانت مثل إسرائيل اسم مدينة في فلسطين منذ عهد الكنعانيين.

(2) لقد درج أكثر الكتاب والباحثين على الأخذ بهذا الرأى، أى أن تسمية " يهود " منسوبة إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب، وهذا يخالف الواقع لأن اليهود لم يكونوا قد وجدوا في عهد يعقوب وابنه يهوذا، فقد وجدوا بعد ظهور موسى وجماعته أى بعد عهد يعقوب بأكثر من ستمائة عام، وتسمية يهوذا مثل تسمية إسرائيل كانت تطلق على إحدى المناطق الكنعانية في فلسطين منذ العهد الكنعانى القديم جريا على العادة المتبعة في تسمية المدن والمناطق بأسماء الأشخاص من ذوى الشهرة الذين يتخذون هذه الأماكن مساكن لهم، وبعد أن نزحت جماعة موسى إلى فلسطين تكونت مملكة يهوذا بعد عصر يعقوب وابنه يهوذا بحوالى= =ألف عام في منطقة يهوذا الكنعانية فسميت باسمها، ثم انتشر استعمال اسم اليهود بعد السبى البابلى نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة، فقد وردت تسمية يهودى في كتابات الملك الأشورى سنحاريب (705 - 681 ق.م).

مقصودا بالعبرية لغة مميزة بين اللغات السامية تتفاهم بها طائفة من الساميين دون سائر الطوائف.

فالعبرية كانت كلمة عامة تطلق على طائفة كبيرة من القبائل الرحل في صحراء الشام، وكان من أبناء هذه القبائل من يعمل كالجنود المرتزقة، وبهذا المعنى وردت كلمة العبرى والإبرى والهبيرى وما قاربها لفظا في المدونات التي عثر عليها في تل العمارنة وفلسطين وآسية الصغرى والعراق، وجاءت بهذا المعنى في الكتابات المسمارية والفرعونية ولم يكن لليهود وجود في ذلك الحين. فإبراهيم كان يتكلم لغة يفهمها جميع السكان في بقاع النهرين وكنعان، ولم تكن العبرية قد انفصلت عن سائر اللغات السامية في تلك الأيام، وقد يقال عنه أنه سامى ينتمى إلى سام بن نوح، ولكنها نسبة إلى جد وليست نسبة إلى قوم وقد تكلم باللغة السامية أناس كالأحباش ليسوا من السريان ولا من الأراميين ولا من الحيريين، فإذا فتشنا عن نسبة لإبراهيم لم نجد أصدق من النسبة العربية كما كانت العربية يومئذ بين جزيرة العرب وبقاع الهلال الخصيب ".

* * *